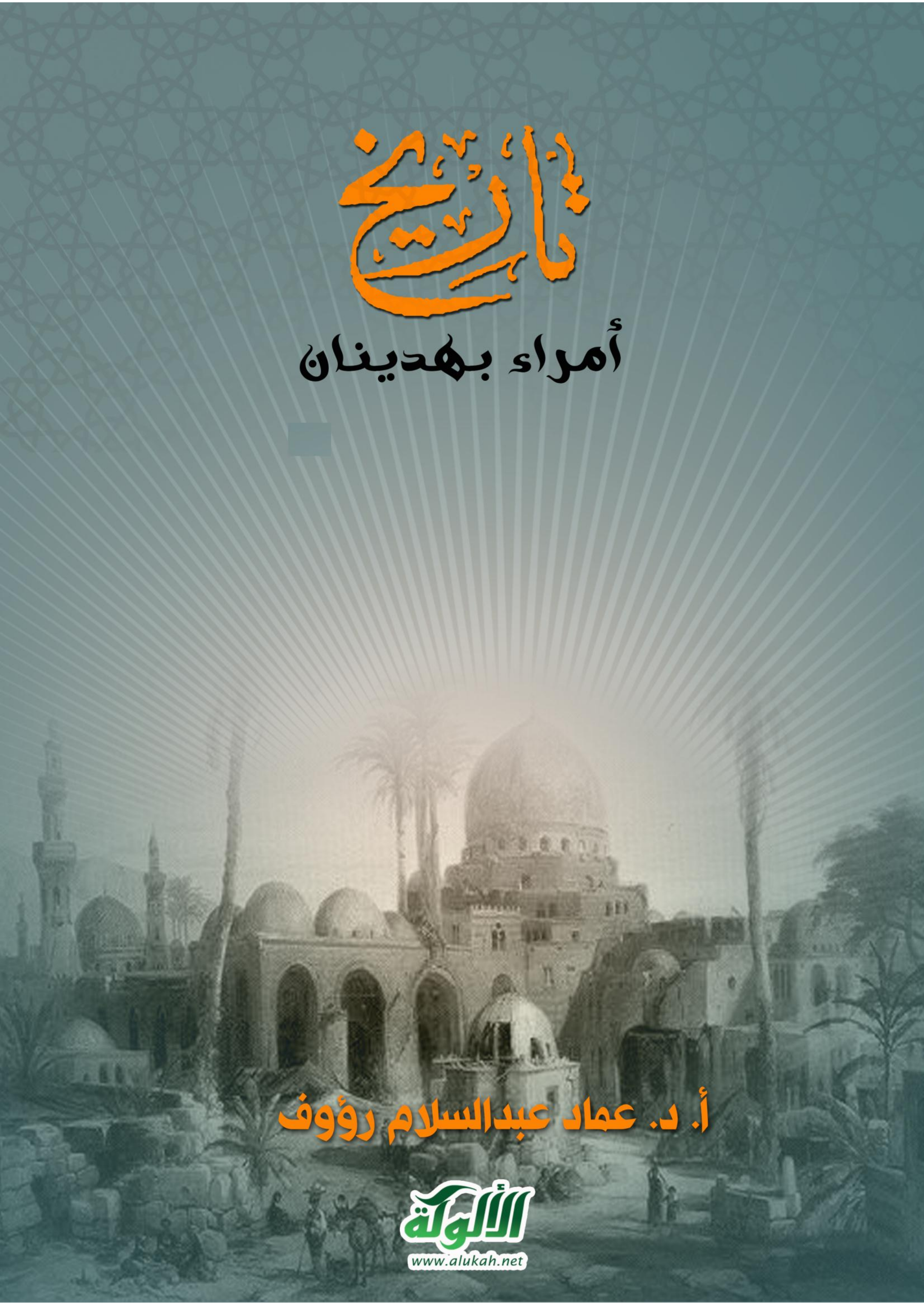


تاريخ
أمراء بهدينان
أ. د. عماد عبدالسلام رؤوف
الألوكة
www.alukah.net

تاريخ

أمراء بهدينان

أ. د. عماد عبد السلام رؤوف

تمهيد

عاش المشرق الإسلامي منذ القرن السابع للهجرة (الثالث عشر للميلاد)، تحولات سياسية وعسكرية عنيفة ومتعاقبة، تمثلت من ناحية بتبدل الحكام، ومن ناحية أخرى بتغير العلاقة بين الحاكم والمحكوم، فلقد أدى اندفاع المغول، وقبائل أخرى، من بلادهم في أواسط آسيا إلى غربيها، إلى انهيار الأنظمة التقليدية، وفي مقدمتها الخلافة العباسية، وكان هذا الإنهيار إيذاناً ببدء مرحلة من الفوضى تمثلت في بسط قبائل متخلفة هيمنتها على أقاليم كان لها دورها في الحضارة. ومع بروز ظاهرة الاتحادات القبلية، تحولت زعامات تلك الاتحادات إلى ما يشبه أن تكون حكومات أو دولاً، مع أنها كانت تفتقر إلى مقومات الدولة حتى وفق مفاهيم ذلك العصر، وباتت الصراعات العنيفة، وأكثرها مُفرِطٍ في دمويته، سِمة عصر بكامله، تدافع فيه الأمراء والزعماء لضرب بعضهم بعضاً، بينما كانت البلاد تغرق في بحر من الركود الاقتصادي، والخراب الاجتماعي، وانحسار نشاط المدينة لصالح حركات القوى القبلية المسلحة، فلم يعد ما يسمع غير قعقعة السلاح.

ولم تكن كردستان بعيدة عما يجري حولها من تغيرات، فالزعامات القبلية القوية التي طالما ادعت الشرعية بما لها من صلات بالخلافة العباسية، على ضعف الأخيرة، وبدول إسلامية استمدت شرعيتها منها، باتت لا تجد هذه الشرعية إلاّ في قوتها الفعلية على أرض الواقع نفسه، وتتمثل هذه القوة في القلاع المنيعة، والرجال المدربين القادرين على حمل السلاح في كل وقت، فضلاً عما كانت تمثله الطبيعة التضاريسية من تحصينات عرَّفت كيف تفيد منها في الحفاظ على استقلالها، فكان أن ألفت تلك الزعامات إمارات تمكنت من فرض وجودها، وسيادتها، على مناطق كردستان المختلفة، ومن ناحية أخرى بات على هذه الإمارات أن تنشئ موازناتها الخاصة بين الدول الجديدة، وأكثرها قبلي، بما يحفظ كيانها، أو في الأقل أمنها.

وحينما سقطت الدولة المغولية الإيلخانية في أواسط القرن الثامن (الرابع عشر للميلاد)، مخلفة بعدها دولتين، هما دولة الجُوبانيين في كردستان إيران، ودولة الجلائريين في العراق وكردستان الجنوبية، اضطرت الإمارات الكردية إلى أن تتحالف، أو تخضع، إلى كل من الدولتين المتنافستين، فكان ذلك سبباً في اختلاف الولاءات بين الأمراء الكرد.

ومع توالي اندفاع القبائل والغزاة من الشرق، أصبح على هذه الإمارات أن تواجه مصيرها بنفسها، وأن تجد لها حلفاءً أقوياءً على الدوام، ففضلّت الإمارات الواقعة في إيران الاعتراف بسيطرة دولة الجُوبانيين المغولية، بينما اعترفت الإمارات التي في كردستان الجنوبية بسيطرة دولة الجلائريين.

على أن تقسيم الولاءات لم يُنه أسباب الصراع، حيث مَدَّ الجوبانيون نفوذهم إلى داخل المناطق الكردية في أربل وعقره، وجاء اندفاع تيمور في نهايات القرن الثامن ليزيد الأمر فوضى وسوءاً، فالمجازر البشرية التي ارتكبها، وتحطيمه للكيانات المحلية، أثارت الذعر في كردستان كلها، كما أثارته في مناطق أخرى أيضاً، فاتسم التاريخ الكردي في عهده بسِمَتين هما الثورة عليه، ومحاولة كف شرِّه بإظهار الخضوع إليه.

ولم يكد خطر تيمور أن ينتهي بموته، حتى أخذت البلاد تشهد تبدلاً جديداً في مراكز القوى، تمثل بظهور اتحادين قبليين تركمانيين، وتشكيلهما دولتين هما القره قوينلو والآق قوينلو، بدأتا ببسط هيمنتهما العسكرية على كردستان، فبسطت الأولى سيطرتها على العراق بعض كوردستان الشرقية الجنوبية، وهيمنت الآخرى على بلاد الجزيرة والموصل وشرقي الأناضول. وكانت حقبة سيطرة هاتين الدولتين تتسم بمزيد من الفوضى والعنف، واضطهاد السكان. ومثلت سيطرة الآق قوينلو على بلاد الجزيرة والموصل والعمادية وشطر من الأناضول الشرقية ذروة ما وصلت إليه هذه المناطق من تدهور سياسي وحضاري[1].

وهكذا بدت الظروف مناسبة لنشوء قوى سياسية جديدة، في كردستان الجنوبية، يكون من شأنها ملء الفراغ الناجم عن عدم وجود سلطة مركزية قوية، تتولى وضع حد للتعديات التي كانت تقوم بها قبائل الآق قوينلو، من جهة، وفرض سلام اجتماعي يكفل إعادة بناء ما تخرب نتيجة فوضى العهود السابقة.

ومهما اختلفت الروايات التاريخية بشأن نشأة إمارة بهدينان، ونسب أمرائها، فإن حقيقة واحدة تبقى غير قابلة للاختلاف، وهي أن نشوء الإمارة، كان يمثل مظهراً لحركة نهوض عامة في كردستان الجنوبية ضد كل مظاهر الغزو والاستلاب والفوضى، حتى يمكن القول بأنها كانت تمثل، في المرحلة المبكرة من تاريخها، مشروعاً شعبياً وجد في الأسرة البهدينانية محوراً له. وعلى الرغم مما أضفي على قضية نسب الأسرة من أهمية، وهو ما أثار نقاشاً لدى الباحثين المعاصرين، فإننا

---

[1] ينظر: عباس إقبال: تاريخ المغول، ترجمة عبد الوهاب علوب، أبو ظبي، ص 445- 467 وزرار صديق توفيق: كردستان في القرن الثامن الهجري، أربيل 2001، ص247-268.

نعتقد أن هذا النسب وحده لم يكن كافياً لنشوء الإمارة لو لم يأتي مُلبّياً لمتطلبات ذلك المشروع الشعبي الذي تضافرت حوله جهود قبائل المنطقة، والسكان عامة، للتخلص من نير القوى الأجنبية، وحالة الانحطاط العام التي اشرنا إليها.

1 - أمراء بهدينان منذ تأسيسها وحتى الفتح العثماني

توضح المشجَّرة الزيوَكِية، التي وضعت في القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد)، وجُددت فيما بعد، دور القبائل الكردية في إيصال البيت الحاكم إلى سُدّة الحكم في العمادية[2]، فالأمير الملك خليل، الذي تفترضه الشجرة مؤسساً للإمارة، ذهب إلى "ولاية العمادية" متخفياً، فوجد هناك "أكراد ليس لهم أمير ولا مطاع"، فلما عرفوه وعلموا نسبه "اجتمعوا إليه وحلفوا معه أن يكون مطاعاً وأميراً بينهم"[3]. ولا تظهر الشجرة أن وصوله إلى حكم العمادية وانتزاعه إياه من أميرها (ملك تازي) الذي كان يحكمها منذ مدة، اقترن بعمل عسكري، وإنما هو يشبه أن يكون استيلاءً سلمياً، أو انقلاباً أبيض، فرضته تلك القبائل، وأنها هي التي ولته ثم ساندته وموَّلت سلطته، من أجل تنفيذ مشروعها في توحيد المنطقة واستقلالها. وليس اتخاذ مؤسسها من لقب (ملك) إلاّ تأكيداً على نزوع عام نحو ذلك الاستقلال المنشود.



العمادية عاصمة أمراء بهدينان

أما لماذا اتخذت هذه القبائل من العمادية مرتكزاً لمشروعها السياسي، فذلك لأن أهمية هذه القلعة، أو المدينة الحصينة، قد ازدادت على نحو ملفت للنظر منذ أواخر القرن الثامن للهجرة

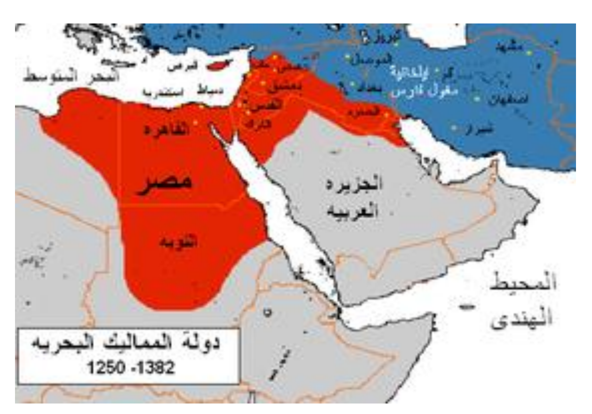
---

[2] تعد العمادية اليوم مركز قضاء باسمها تابع لمحافظة دهوك، وهي تبعد عن مدينة دهوك بنحو 70 كم، وتحتل المدينة قمة جبل يرتفع عن مستوى سطح البحر بـ1400 قدم.

[3] الشجرة الزيوكية، بتحقيقنا، أربيل، مكتب التفسير، 2010.

(الرابع عشر للميلاد)، حتى أن دولة المماليك في مصر والشام كانت حريصة على إقامة صلات دبلوماسية مع أمرائها[4]، من أجل أن تكون ركيزة حلف قوامه الإمارات الكردية الأخرى للحيلولة دون أي انهيار سياسي وعسكري يقع على حدودها الشرقية كما حدث من قبل، وحتى لا يضطر أمراؤها إلى الوقوع تحت نفوذ غزاة يهددونها، كما جرى حين أطاع أميرها تيمورلنك، عند غزوه المنطقة، سنة 796هـ/1394م.

وتكشف وثيقة جديدة أورد نصها المؤرخ المصري القاضي محيي الدين عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نَشوان الجُذامي السَّعدي الرَّوْحي في مخطوطة له بعنوان (الألطاف الخفيَّة من السيرة الشريفة السلطانية المِلَكيّة الأشرفية). عن نص مهم يتضمن خبر مراسلة جرت بين أمير بلاد هكار الأمير علاء الدين الهكاري والسلطان الأشرف خليل (666- 693هـ/1267- 1293م) سلطان مصر والشام حول رغبة هذا الأمير في عقد تحالف مع مصر، بما يعنيه ذلك من الحصول على دعم دولة قوية قريبة من بلادهم، ذات تحالفات واسعة في المنطقة، وهو ما يمكن أن يفيدهم في وجه الأخطار التي كانت تحيط بهم، لا سيما خطر الدولة المغولية الإيلخانية التي كانت ما تزال تحكم الموصل وأطرافها وهي مناطق قريبة من بلادها.



خارطة توضح توسع دولة المماليك البحرية

[4] ينظر ب. شرفخاني: حول قيام إمارة العمادية، مجلة متين، العدد 68، أيلول 1997، ص101-112.

علاء الدين الهكاري

وتسكت المصادر عن تعيين هوية علاء الدين الهَكاري إلاّ أن مُجُرَّد كتابة السلطان المصري له بالخطبة التي سنورد نصها كاملا بما تضمنته من عبارات التوقير والاحترام يدل على أهميته في بلاده[5]، فهو يبتدئ خطبته بالتحميد، وقد جرت عادة كتاب الإنشاء أن "التحميد في أوائل الكتب لا يكون إلا في الكتب الصادرة عن السلطان"[6]، وهو لا يخاطبه باسمه، وإنما بعبارة "المجلس السامي"، واستعمال لفظ المجلس تقليد في مكاتبة الملوك كان لا يخاطب به في العصر الأيوبي، إلا السلاطين، ثم خوطب به غيرهم"من ذوي الأقدار"[7]، وإضافة لفظ (السامي) اختص به (صاحب قلعة العمادية) وعدد من الأمراء الكرد[8]، ثم هو يُضفي عليه ألقاباً مُفخمّة ذات دلالات عسكرية، فيصفه بـ "الأمير الأجل الكبير" وبلقب " الاسْفهْسَلار"، وهو لفظ فارسي وضَّح معناه القلقشندي بقوله" معناه مُقدَّم العسكر، وهي وظيفة من وظائف أرباب السيوف وعامة الجند، وصاحبها زِمام كل زمام، وإليه أمر الأجناد، وهي كلمة أعجمية معناها قائد الجيش"[9].ويثني على شجاعته فيقول أنه "المِقدّم المقدام، البطل الضرغام"، وبعد أن يذكر كُنيته "علاء الدين" يعود إلى الى الثناء عليه، فيصفه بأنه "مجد الإسلام، شمس الأنام"، ويشيد بزعامته القوية للقبائل في منطقته فيقول أنه "شرَف القبائل والعشائر"، وبإنجازاته الكبيرة الواضحة بقوله "ذو المفاخر والمآثر"، ولقبه بـ"أمير الفِتيان"، في إشارة إلى أنه يتزعَّم نظام الفتوة في بلاده، وهو نظام له أبعاد أخلاقية- عسكرية، ووصفه بأنه "مُمِير الإخوان والاعوان"، يدل على توليه مهمة تمويل ذلك النظام والإنفاق على حلفائه، وقوله أنه "ذخر الملوك والسلاطين" يدل على أنه موضع ثقتهم واعتمادهم، والمقصود سلاطين الدولة المملوكية في مصر تحديداً، وأما اسمه فهو "ابو الحسن علي الهَكاري".

وهذه الأوصاف والكنى والألقاب ترجح كون صاحبها أميراً حاكما لإحدى الإمارات الكُردية القوية وليس مُجُرَّد زعيماً قبلياً، وإذ كانت بلاد هكاري هو الاسم القديم للمناطق التي

---

[5] الألطاف الخفيَّة من السيرة الشريفة السلطانية الملَكيّة الأشرفية، الورقة 94.

[6] صبح الأعشى ج7 ص19.

[7] صبح الأعشى ج7 ص19.

[8] صبح الأعشى ج7 ص309.

[9] صبح الأعشى ج3 ص479.

تكونت عليها إمارة بهدينان في أول القرن الثامن للهجرة، فيكون هذا الأمير حاكما لها، وإذ كانت الوثيقة تصفه بإمارة الفتيان فالمقصود أن زعامته انبثقت من هذا التنظيم الذي يقوم أصلا على التصوف، وهو الأمر الذي ينطبق على إمارة بهدينان تحديداً، فنحن نعلم أن أمراءها الأوائل كانوا متصوّفين تنسب لهم الكرامات الباهرة، بل أن هذه الكرامات كانت ركناً قوياً من أركان إمارتهم، حتى عرف أحد أمرائها، وهو السلطان حسين، بالولي دلالة على شدة ورعه وتقاه، بينما كانت الزعامة القبلية، المتمثلة بتحالف قبائل الزيبار والمزوري والسِّندي وغيرها، الركن الثاني لها.
ومما يؤكد تلك القاعدة الروحية والأخلاقية التي يستند إليها أهل بلاد الهكار، قول سفيرها الشيخ عبدالحميد "وأهل جميع تلك الجبال بحكم ان لهم في الفتوة ولباسها رغبة عظيمة وان احدهم لا يحلف الا وحق الفتوة ولا يكاد احد منهم يحلف بالفتوة ويكذب ابدا". وواضح أن طلب الأمير الهكاري كان يتجاوز مسألة تقليده عهد الفتوة وشعارها إلى اعتراف الدولة المصرية بإمارته، وهذا يعني الاعتراف بشرعيتها بحكم كون هذه الدولة هي الحاضنة للخلافة العباسية[10].

ومن المؤسف أن الوثائق لا تسعفنا بمعلومات كافية عن المرحلة المبكرة من تاريخ إمارة بهدينان، ومن ثم فإننا نعلم إن ثغرات جسيمة تكتنف قائمة أسماء أمرائها الأوائل، ولما كانت احدى الوثائق التي نشرت أخيرا[11] تلقي ضوءاً على هذه المرحلة المبكرة، فقد عدنا إليها باحثين عن أمير يكنى علاء الدين، عاش في أواخر القرن السابع للهجرة وأوائل القرن التالي، فوجدنا أن هذه الوثيقة تصرح باسم الأمير (حاجي بن مُجَلي بن علاء الدين) وأنه كان صاحب العمادية سنة 740هـ/1339م وأنه أول من دخل العمادية، عاصمة الإمارة، ومعنى هذا- بحساب الأجيال[12]- أن الزمن الذي عاش فيه علاء الدين أبو مجلي يقع في أواخر القرن السابع تحديداً. وفي الوثيقة المسماة (الشجرة الزيوكية) نقرأ أن أول من دخلها هو الملك خليل، وكان قد دخلها في أوائل القرن الثامن للهجرة، وأن له ولداً يكنى بعلاء الدين، حكم بعده، ثم تولاه بعد الأخير ابنه الأمير مُجَلى[13]. فيكون زمن علاء الدين في تضاعيف النصف الأول من القرن الثامن للهجرة. وكلا

---

[10] بحثنا: ضوء جديد على علاقة بلاد هكار بالدولة المصرية، مجلة الأكاديمية الكردية، أربيل 2014، العدد 25، ص423

[11] محمد أمين دوسكي: وثيقة تاريخية هامة يكشف عنها النقاب لأول مرة، مجلة (مه تين)، عدد 2، 1996، ص149.

[12] يتفق النسّابون على أن الجيل بالمصطلح النَسَبي يقدر بثلاثين أو أربعين سنة.

[13] الشجرة الزيوكية، ص52-53.

الاسمين يمكن أن يكون صاحبه هو المرسل إليه الرسالة موضوعة البحث، وان كنا نرجح أن يكون هو المذكور في الوثيقة الأولى، التي تنص على اسم علاء الدين جد حاجي بن مُجَلّي أمير العمادية، لا سيما وأن حاجي هذا كان معروفاً تماماً لدى الدولة المصرية[14].

وفي الرسالة بعد ذلك ثناء شخصي ومديح وافر لعلاء الدين الهكاري، فهو "من اشتهر بالشجاعة التي تقدم بها على قومه"، والمعروف بـ"زرق الأسنة" أي الرماح، وبـ"بيض الصفاح" أي السيوف، وأشاد بصدق العزيمة وكرم شيمته، ونوَّه بحُسن طاعته وبإجابته وقومه إذا دعا داعي الجهاد. ولذلك فإنه "جعله رأس أحزاب الجُموع الذين بتلك البلاد سهلا وجَبَلاً، وصَرَفه في اختبارهم قولا وعملا"، ومعنى هذا أنه اعترف رسمياً بإمارته.

بهاء الدين، الأمير

ويقترن تاريخ العمادية في الحقبة التالية باسم أمير يدعى بهاء الدين، فهذا الأمير هو الذي نسبت الإمارة إليه، وقد ذكرت الشجرة الزيوكية أميراً بالاسم نفسه ونصت على نسبه على النحو الآتي: بهاء الدين بن سيف الدين بن مجلي بن ملك خليل، ولا يذكر البدليسي نسبه، ولكن يذكر أنه كان "الرجل الذي بارح طارون[15] إلى العمادية"، فيكون هو الأول بين أمرائها، وإن إلى اسمه عرفت ذريته بالبهادينان (جمع: بهاء الدين). وتختلف رواية البدليسي هذه عما ذكرته الشجرة الزيوكية من أن أول من ملك العمادية هو ملك خليل بن عز الدين، وما ذكرته ورقة الدوسكي من أنه هاجي بن مجلي[16].

ومن ناحية أحرى فقد عثر في الآونة الأخيرة على شاهد قبر قديم في قرية (داره تو) القريبة من بلدة (برده رش) في قضاء عقره[17] لأمير يدعى بهاء الدين، حيث ورد في هذا الشاهد الآتي" هذا قبر الأمير بهاء الدين بن سلطان بن الأحمدي، توفي نصف شعبان سنة اثنا عشر.... للهجرة"[18]، ولا نستطيع معرفة علاقة هذا الأمير بالأمير بهاء الدين المذكور، إلا أن اسمه واسم ابيه يتكرر في

---

[14] أشار إليه القلقشندي: صبح الأعشى ج7 ص309 باسم (الحاجي بن عمر). وينظر عنه كتابنا: المعجم التاريخي لإمارة بهدينان، أربيل 2011 ، ص370.

[15] طارون قلعة من أعمال شمدينان في كردستان تركيا

[16] شرفنامه ص138 والشجرة الزيوكية ص74 ومحمد أمين الدوسكي: وثيقة تاريخية هامة يكشف عنها النقاب لأول مرة، مجلة مه تين، عدد2، 1996، ص149.

[17] تبعد داره تو عن برده رش بنحو 12 كم.

[18] نقل هذا النص شاهد عيان هو حسين عمر حسن من قرية داره تو، وقال أنه كان يقع في مقبرة قديمة هناك.

عمود نسب الإمراء، ومن المؤسف أن كسراً أصاب الشاهد في موضع التاريخ فضاعت بذلك مرتبة المئات منه، فلم يعد ممكناً معرفة القرن الذي عاش فيه ذلك الأمير.

عز الدين بن سراج الدين

سكن في قلعة خفتيان[19]، وكان له أربعة أبناء، هم عماد الدين وملك محمود وملك أحمد وملك خليل، والأخير هو الذي دخل العمادية، فكان أول من حكمها من أسرته[20]. وبحساب عدد الأجيال يكون عز الدين قد عاش في النصف الأول من القرن الثامن للهجرة (14م). عاش في العمادية وتوفي فيها، وشيدت على قبره قبة مدورة في المقبرة السلطانية انهار معظمها.

عماد الدين بن عز الدين، الأمير

عاش في قلعة خِفتيان، حيث أقام أبوه، وتذكر الشجرة الزيوكية أنه انتقل منها لسبب لا تذكره، وذهب متخفياً إلى (ولاية العمادية)، وهناك عرفوه، و"قصدوا أن يأخذوه ويذهبوا به إلى ملوك الأتراك، وهم المغول، فهرب منهم إلى ما بين الجبال، فوجد هناك أكراد ليس لهم أمير، فعرفوه وعلموا بأنه من أبناء الخلفاء العباسيين، فاجتمعوا إليه وحلفوا معه يكون مُطاعاً وأميراً بينهم، وكان ذلك يوم السبت، فسموا أنفسهم شنبو بلسان الأكراد، يعني السبت، منسوباً إلى السبت، فبقي هناك أميراً مطاعاً فيما بينهم"[21].

ملك خليل بن عز الدين، الأمير

هو أول من ملك العمادية بحسب الشجرة الزيوكية. تذكر هذه الشجرة شيئاً عن حياته قبل أن يصل إلى الملك، فتقول أنه انتقل إلى دمشق، حيث أكرمه أهلها، نظراً لشرف نسبه، وبما أحس بالخطر يتهدده، تركها وذهب إلى حيث بلاد الجبال، ولكنه فضل، وقد وصل إلى بعض الكهوف في منطقة (بيخمة) أن يترك الدنيا ويتوب ويتزهد ويعبد الله، ففعل ذلك مدة طويلة، متخذاً من ذلك الكهف سكناً له، ثم أن عشيرة كردية تعرفت عليه، وعلمت قدره، وشرف نسبه، فأجمعوا على توليه أمرهم، وجاءوا به إلى العمادية حيث أخرجوا حاكمها (ملك تازي)، وولوه أميراً عليهم،

---

[19] اسم لقلعتين مهمتين

[20] الشجرة الزيوكية ص52-53.

[21] الشجرة الزيوكية ص51

ثم أنه أرسلوا إلى زوجته التي تركها في دمشق، فأتوا بها إليه، ورزق منها أولاداً، وهم الذين تولوا حكومتها. ومما يؤكد وجود هذا الأمير، أن أحد أحفاده حمل اسمه.[22]

علاء الدين بن ملك خليل بن عز الدين، الأمير

ذكرت الشجرة الزيوكية أنه كان الابن الأصغر لأبيه، وقالت "وحكماء العمادية من نسله"[23].

مُجَلّى بن الأمير علاء الدين، الأمير

تتفق الشجرة الزيوكية وورقة الدوسكي على هذا الاسم، وتستمر الأولى في تقديم باقي نسبه على النحو الآتي: علاء الدين بن ملك خليل بن عز الدين بن سراج الدين، كما تذكر أنه ابو بهاء الدين، وجد الأمير سيف الدين، الذي حكم العمادية في أواخر القرن التاسع، وامتد حكمه حتى سنة 940هـ/1533م، فيكون قد عاش أغلب حياته في النصف الأول من القرن العاشر للهجرة (16م).[24]

ومن ناحية أخرى فإن انضمام تحالف الزيبار إليها أدى إلى أن تتسع أراضي بهدينان لتشمل ما كانت تسيطر عليه هذه القبيلة، ومنه قلعتي الشوش وعقره، وأراض تمتد حتى ما وراء نهر الزاب الأعلى[25].

زين الدين، الأمير:

ذكر البدليسي أنه كان معاصراً لتيمور لنك وولده شاه رخ (أوائل القرن الثامن للهجرة)، ولم يذكر نسبه، ولكنه عده من أمراء بهدينان الذين سبقوا الأمير حسن بك (تولى الإمارة سنة 875هـ/1470م) وأنه حكم "متمتعاً بالسعادة والرفاه" وأنه كان وفياً لاصدقائه ومكافحاً لأعدائه. ومع ذلك لا نجد اسمه في الشجرة الزيوكية. وفي ورقة الدوسكي، إشارة لا تتضمن نسبه،

---

[22] الشجرة الزيوكية ص52-53.

[23] الشجرة الزيوكية ص53.

[24] الشجرة الزيوكية ص51-52 ومحمد أمين الدوسكي: وثيقة تاريخية هامة يكشف عنها النقاب لأول مرة، مجلة مه تين، عدد2، 1996، ص149.

[25] كان الزيباريون قد ورثوا هاتين القلعتين المهمتين من الإمارة المازنجانية التي أسسها مبارز الدين كاك (المتوفى سنة 710هـ/1310م) وحكمها أعقابه، وتطلق الشجرة الزيوكية على رؤساء الزيبار في القرن العاشر للهجرة اسم (وزراء الزيبار)، ونرى أنهم حصلوا على هذا الاسم نتيجة لكونهم أول من ساند أمراء بهدينان في توليهم الإمارة.

ومفادها أن أميراً اسمه بهاء الدين حكم بعد الأمير إسماعيل (ولا تشير الزيوكية إلى إسماعيل هذا) وقد أعقبه الأمير محمد، وأعقب هذا من اسمه بهاء الدين أيضاً، والراجح أنه الأول نفسه[26].

سيف الدين، الأمير:

ذكر البدليسي أنه ابن الأمير زين الدين، وفي الشجرة الزيوكية أنه ابن الأمير محمد. وقال البدليسي أنه "قام مقام والده في حكم المملكة، فبسط ظلال العدل والرحمة ونهض بالشعب"، ووصفه بـ"حسن الاعتقاد"، وهو وصف يدل على أنه كان سنياً. وذكر محفوظ العباسي أنه الجد الأعلى للأسرة التي اشتهرت باسمه (آل مير سيفدينا)، وإلى اسمه عرفت حكومة بهدينان في عهدها الأول باسم (حكومة سيفالدينا) كما هو مثبت على شاهد قبر الأمير حسن بك (المتوفى سنة 940هـ/1533م) الذي عثرنا عليه في المقبرة السلطانية في العمادية[27].

حسن بك بن سيف الدين، الأمير:

أكبر ولدي أبيه، تولى الإمارة بعده مدة طويلة ناهزت السبعين عاماً، وإليه يعزى الفضل في إرساء قواعد الإمارة، والدفاع عنها. عاصر حكمه دولة الآق قوينلو التركمانية، التي كانت عاصمتها في ديار بكر، وكانت هذه الدولة في ذروة قوتها، فأرسل سلطانها حسن الطويل قواته بقيادة سليمان بك بيزن أوغلي لإخضاع العمادية ونواحيها، وتقدمت هذه القوات فاحتلت قلعتي عقرة والشوش المنيعتين، ثم مضت فحاصرت العمادية، وعند أسوارها بذلت جهود كبيرة لفتحها، إلاّ أن تلك الجهود فشلت، ويذكر البدليسي أن الأمر انقلب على المهاجمين، حتى ضاق قائدهم ذرعاً، مما دل على أن قوات الإمارة كانت قادرة على شن هجومات مضادة، وإضافة إلى ذلك فإن القبائل التي كانت تسكن في نواحي العمادية، استطاعت أن تشن حرب مقاومة فعالة على القوات المعتدية، وأن توقع فيها خسائر فادحة، مما دفع بسليمان بك إلى ترك مواقعه حول العمادية والانسحاب إلى قواعده الأولى، وبذا حققت العمادية نصرها على الغزاة. وفي الواقع فإن فك الحصار عن العمادية، وانسحاب قوات الآق قوينلو، كان يمثل لحظة مهمة في تاريخ إمارة بهدينان، ففيها تأكد استقلالها، وتأكد التفاف القبائل حولها ومساندتهم لها، فبدت مشروعاً لنهوض شامل، نجح

[26] شرفنامه ص140. ومحمد أمين الدوسكي: وثيقة تاريخية هامة ص 149

[27] شاهد قبر الأمير حسن في المقبرة السلطانية في العمادية، وشرفخان البدليسي: شرفنامه، ترجمة جميل الروزبياني ص140وكاوه شاولي: إمارة بهدينان 1700-1842 دهوك 2000ص51 وبابا مردوخ: تاريخ مشاهير كرد، أمرا وخاندانها، طهران 1382هـ.ش، ج2 مج3 ص134.

حسن بك به، وأكمله ابنه السلطان حسين الولي فيما بعد. اقترنت تلك الحوادث بقيام الدولة الصفوية في إيران، واحتلالها العراق، واندفاعها في منطقة الجزيرة، وضربها دولة الاق قوينلو هناك. فإدرك الأمير حسن ضرورة مهادنة هذه الدولة الجديدة، فقصد الشاه إسماعيل الصفوي، حيث قوبل بالحفاوة والتكريم، بوصفه الأمير الذي الحق الخسارة بالآق قوينلو، وهم أعداء الصفويين، وأنه هو الذي دفعهم عن كردستان، المتاخمة لبلادهم. أفاد الأمير حسن من تحالفه مع الصفويين في توسيع حدود إمارته، فسيطر على قلعة دهوك، بعد أن كانت خاضعة لسيطرة الداسنيين، وضمها إلى إمارته، كما سيطر على الإمارة السندية وضمها هي الأخرى إليها[28]، وبذا أصبحت حدود الإمارة تمتد غرباً حتى نهر دجلة. ولما قام السلطان سليم الأول بحملته التاريخية لضرب الصفويين في شمالي إيران سنة 920هـ/1514م استجاب الأمراء الكرد لمبدأ التعاون معه، والولاء للدولة العثمانية، وهو المبدأ الذي أرساه ودعا إليه الأمير الكردي مولانا إدريس البدليسي.



السلطان سليم الاول

ولا تلقي المصادر المتوفرة ضوءاً على موقف الأمير حسن من دعوة البدليسي هذه، فإسمه لم يرد ضمن من وصلتنا أسماؤهم من الأمراء الكرد الذين شاركوا في نصر العثمانيين في معركة جالديران، ولكن ذلك لا يقف دليلاً وحيداً على أنه لم يكن حاضراً بينهم، والملفت للنظر ما ذكره الرحالة التركي أوليا جلبي، الذي مر في المنطقة بعد سبعة عقود من الزمن، من أن سليم الأول أقطع العمادية إلى الأبد للملا إدريس البدليسي، وتم تسجيل القرار رسمياً، ونقله كلام للقائد العثماني محمد بيقلي باشا مفاده امتنانه من موقف البدليسي "الذي أغاثنا في معركة جالديران"[29]، فإن كان الملا إدريس حاكماً للعمادية في معركة جالديران سنة 920هـ/1514م فمعنى هذا أنه أقطع إياها بصفة أبدية قبل ذلك التاريخ بداهة، وهو ما يعني أن الأمير البهديناني حسن بك كان مجرداً من

[28] شرفنامه ص146

[29] رحلة أوليا جلبي في كردستان، ترجمة رشيد فندي، أربيل 2009ص39

إمارتها، فكيف نفسر تلك العلاقة الطيبة بين الأمير والسلطان، مما عبرت عنه الرسالة التي كتبها الأخير إلى السلطات العثمانية، وهي المؤرخة في 2 شعبان سنة 922هـ/31 آب 1516م بشأن أوضاع إيران؟.[30] ليس لنا إلاّ افتراض أن يكون السلطان سليم قد عزل حسن بك من إمار ته في أثناء توجهه إلى جالديران، وبما أن هناك رواية غير مؤكدة تشير إلى قوات تعدادها 5000 مقاتل كردي من العمادية شاركت في هذه المعركة[31]، فيكون قد أعيد إلى منصبه أميراً، وحظي بالقبول التام، إلى حد إلغاء الأمر القاضي بتعيين البدليسي أميراً على العمادية وإقطاعها إياه إلى الأبد، بحسب تعبير أوليا جلبي، بل ينوه الرحالة المذكور بوجود فرمان صادر من السلطان العثماني، يقضي بأن تكون إمارة العمادية بيد الأسرة البهدينانية على نحو وراثي، فيقول أن إيالة العمادية "منطقة عظيمة، ورث حكامها الإمارة عليها منذ القديم. فلا يشملهم العزل والنصب أبداً، وفي أيديهم بذلك الخط الشريف (فرمان)"[32]. ومعلوماتنا عن الأمير حسن بك شحيحة رغم أهمية الدور الذي أداه في توجه الإمارة السياسي، إلاّ أن ورقة غير معروفة الكاتب أشارت إلى أنه حكم مدة سبعين سنة[33]، وهي مدة طويلة فعلاً، فإن صحت هذه المعلومة يكون قد تولى الحكم سنة 870هـ/1465م.

وكنا قد عثرنا في صيف 2009 على شاهد قبره مدفوناً معظمه في المقبرة السلطانية في العمادية، وهو شاهد فخم في خطه وزخرفه وردت ألقابه عليه كالآتي (الأكرم الأعظم الأفضل المرحوم المغفورالعادل المحسن، بيك حكومة سيفالدينا بن محمد). وهذه أول مرة يرد فيها اسم (حكومة) في تاريخ كردستان الحديث، و(سيفالدينا) اسم أسرة سيف الدين المنشئة لهذه الحكومة. وتولى الحكم من بعده ابنه الأكبر السلطان حسين الولي[34].

---

[30] عبد الله حداد: رسالة حسن بك أمير العمادية، مجلة زاكروس الثقافية، العدد3 أيلول 1997

[31] The Encyclopaedia of Islam, New Edition, London 1986,Vol.4,P.459

[32] أوليا جلبي سياحتنامة سي، فصل عربه محمد جميل روزبياني بعنوان بغداد الجنة العامرة، بغداد 1998، ص66

[33] محمد أمين الدوسكي: وثيقة تاريخية هامة ص149.

[34] عماد عبد السلام رؤوف ونرمين علي: شواهد المقبرة السلطانية في العمادية، أربيل 2011، ص 103 وكتابنا: السلطان حسين الولي أمير بهدينان، أربيل 2009 ص8-16،محفوظ العباسي: إمارة بهدينان العباسية ، ومشاهير الكرد ج1 ص176، ومحمد عبد الله ئاميدي: سه ردمي زيرين ل ميركه ها به دينان، نشر في كتاب: ديدارا ديروكي ل دور ئاميديي، دهوك 2009، ص177-188.



شاهد قبر حسن بك بن سيف الدين

2- امارة بهدينان

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

ارتبطت إمارة بهدينان، منذ أن دخلت في نطاق الإمارات التابعة للدولة العثمانية في بدايات القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد) وحتى بدايات القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد)، بالإدارة العثمانية المركزية في استانبول، فكانت المخاطبات الرسمية تجري بين السلطان العثماني وبين الأمير البهديناني على نحو مباشر، ولم يكن الأخير يرى أي حَرَج في أن يخاطب السلطان العثماني في أي شأن تفصيلي من شؤون إمارته الداخلية أو الخارجية، كما لم يكن السلطان يتردد في مخاطبه الأمير البهديناني في شؤون المنطقة مضفياً عليه من الألقاب التشريفية ما يدل على مكانته الخاصة بين الأمراء الآخرين، مثل (دامت معاليه) و(دام عِزُّه) ونحوهما.

وتعد الوثائق الرسمية العثمانية مصدراً جديداً ومهماً عن تلك الحقبة التي أشرنا إليها بوصفها تُورِد نصوص الرسائل المتبادلة بين أمراء بهدينان وسلاطين آل عثمان، وذلك قبل أن تربط شؤون الإمارة الخارجية بولاة بغداد في مقتبل القرن الثامن عشر (الثاني عشر للميلاد). وتكشف هذه الرسائل عن جوانب مهمة من تاريخ إمارة بهدينان في خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة (السادس عشر والسابع عشر للميلاد)، تناولت المشاكل الداخلية للإمارة، والصراعات بين أفراد البيت الحاكم، وعلاقاتها بالقبائل الكُردية الساندة لها، أو المتحالفة معها، أو التي كانت تخوض صراعاً ضدها، فضلاً عن أمور أخرى لها صلة بدور الإمارة في الصراع العثماني الإيراني، وبالشؤون العسكرية والأمنية.

وتُغطي هذه الوثائق الحقبة التي تولى الحكم فيها من أمراء بهدينان:

1- السلطان حسين بن السلطان حسن (940-981هـ/1533-1573م)

2- السلطان قباد خان بك (981- 991هـ/1573-1583م)

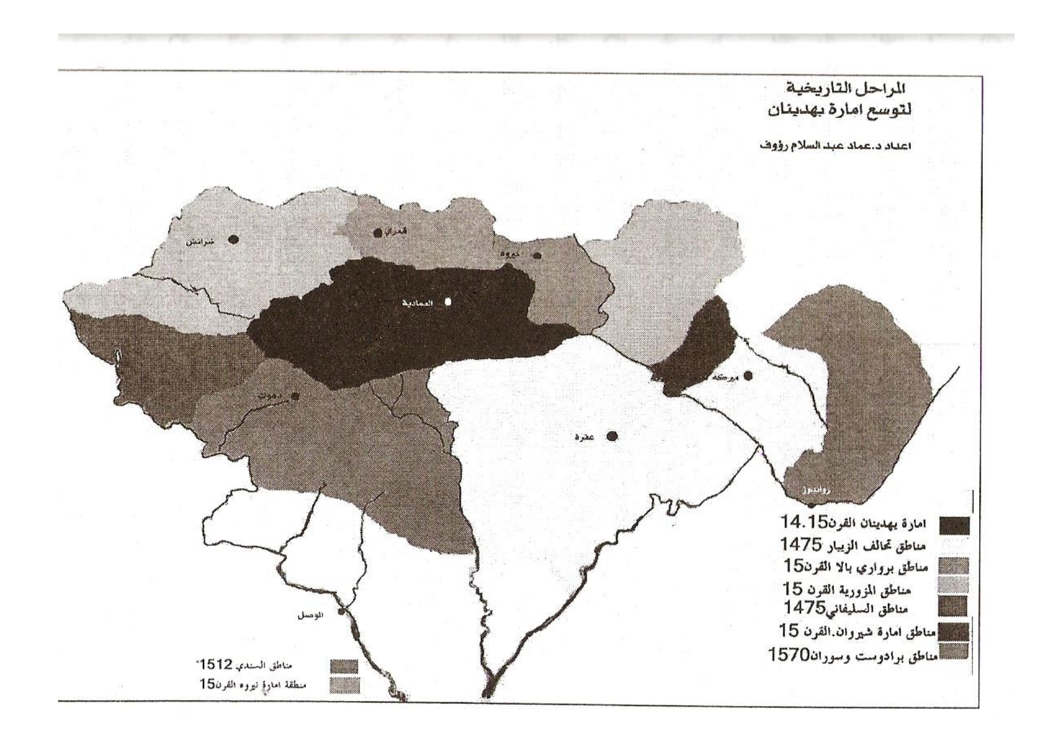
3- السلطان سيدي خان بك (992- 1029هـ/1584-1619م)

4- السلطان يوسف خان بك (1041-1048هـ/1631-1638م)

5- السلطان عثمان خان بك 1093-1111هـ/ 1682-1699م)



أراضي إمارة بهدينان وتبدو فيها أهم معاقلها وقبائلها



السلطان حسين بن السلطان حسن

ولد في السنين الأولى من القرن العاشر للهجرة (أواخر 15م)، وكان الابن الأكبر بين أخوته، وتربى تربية قريبة من تقاليد الطريقة القادرية المنتشرة في ذلك العهد، لا سيما على يد شيخه بير محمود الزيوكي القادري، وعني بالعلم واقتناء المخطوطات النادرة، مما وقفه على مدرسته فيما بعد. تسنم الحكم بموجب فرمان صادر عن السلطان سليمان القانوني سنة 940هـ/1533م، وقدم لجيشه الذي كان قد دخل كردستان دعماً عسكرياً مؤثراً، وحينما وصل سليمان إلى بغداد سنة 941هـ/1534م، كان هو واحداً من الأمراء الكرد الذين حضروا لاستقباله، وصار مشرفاً عاماً على الإمارات الكردية. عُني- على نحو خاص- بتوطيد الأمن في إمارته، فشرع في ضرب النفوذ المتنامي للداسنيين الايزيدية في منطقة دهوك، بعد أن أصبحت منذ عهد أبيه الأمير حسن جزءاً من بهدينان، ثم تولى دفعهم عن المناطق التي استولوا عليها في أربيل، والموصل، ونجح في إقناع الدولة العثمانية بالتخلص من حسين الداسني الذي ولته السلطات العثمانية أربيل وإعدامه، وبهذا أصبح صاحب الكلمة العليا في سوران، ومن موقعه هذا أخذ في ترتيب الشؤون الداخلية للعشائر المتنازعة هناك، وفي تعيين الأمراء الموالين له في مناطقها[35] وبذا تمكن من فرض الأمن في البلاد، والقضاء على "اللصوص والحرامية وقطاع الطرق"[36] 7، ومن ثم تأمين طرق التجارة. ولما كانت مشكلة الداسنية، كما بدت في ذلك العصر، أعقد وأكثر سعة من إمكاناته العسكرية وحدها، فقد تعاون مع ولاة شهرزور وآمد (ديار بكر) والموصل من أجل تصفية زعمائهم، وتهجيرهم من بعض القرى، وهكذا نجح في مد هيمنته على أراض واسعة داخل إمارة سوران، وراء نهر الزاب الأعلى، مثلما ضمن سلامة القرى والطرق التجارية بين إمارته والإيالات العثمانية الأخرى، وأعمها إيالة الموصل. ونظراً لظروف الفوضى التي كانت تمر بها إمارة بابان، بعد انقراض أسرتها الحاكمة، فقد سعى السلطان حسين الولي إلى استصدار أمر سلطاني بتعيين مرشح، من أسرة جديدة ستحمل الاسم نفسه، ليحكم هذه الإمارة، بإشراف غير مباشر من أمير بهدينان، وهكذا مد السلطان حسين نفوذه إلى منطقة مهمة تتصل مع إمارته من جنوبها الشرقي، من خلال تحالف غير رسمي بين أسرته والأسرة البابانية الحاكمة في تلك الأصقاع. ولم يختلف الوضع في منطقة برادوست كثيراً عما حدث في منطقة بابان، إذ أسفر الصراع بين أمراء (مكري) وما يستتبعه من

---

[35] شرفنامه ص269

[36] دفتر مهمة 7 ص706 في 22 صفر 976هـ/1568م

فوضى وتعدد الولاءات، عن ضرورة فرض سلطة الدولة على هذه المنطقة المتاخمة لإيران الصفوية، وقد قام السلطان حسين بهجوم كاسح على قوات المكريين، وتنصيب أحد أفراد الأسرة أميراً على الإمارة، وضمن بذلك "اخلاصه الطاعة" للسلطان مدة طويلة من الزمن[37].

ولم تقتصر سياسة السلطان حسين على توسيع نطاق إمارته، ومد نفوذها في المناطق الشرقية والجنوبية فحسب، وإنما أخذ يخطط لكي يكون له نفوذه في المناطق الشمالية والغربية منها، حيث كانت إمارة حَكاري تبسط سيطرتها هناك، واستغل حدوث صراع عنيف بين أفراد الأسرة الحاكمة، متوزعي الولاء، ليتدخل في شؤونها، واختار أحد هؤلاء الأمراء حليفاً له، وسعى إلى إستصدار أمر سلطاني باسمه، فضمن بذلك أمرين: ولاءه إلى الدولة العثمانية، وولاءه إليه، بوصفه الحليف المساند له لدى تلك الدولة. والظاهر أنه فعل الشيء نفسه مع أمراء بوتان (الجزيرة) إلى حد أن أصبح ناظراً على أمرائهم[38]. ومن ناحية أخرى، اتسمت علاقة إمارته بإيالة الموصل بالتعاون الكامل، والتنسيق فيما يتعلق بالشؤون المشتركة، وكثير من الأوامر التي تلقاها من السلطان العثماني كانت تتضمن نسخاً مشابهة لأمير أمراء الموصل لغرض التعاون في تنفيذ ما كان يناط بهما من مهام غالبها ذو طابع أمني. أما على المستوى الخارجي، فإن أمير بهدينان حقق نجاحاً كبيراً في الدفاع عن سلامة الدولة، ففي صيف سنة 954هـ/1547م قاد فرزة من جيشه يتألف أفرادها "من شجعان الكرد"[39] توغلت بسرعة في أذربيجان الغربية الإيرانية، حيث فاجأ قوات صفوية كبيرة قد تحشدت في منطقة (تخت سليمان) على الطريق بين تبريز وزنجان، بهدف التقدم نحو بغداد وحواليها، فسبق بذلك الهجوم الناجح القوات العثمانية التي كانت تتقدم بقيادة السلطان سليمان القانوني باتجاه شمالي إيران، وبذا تمكن من القيام بضربة استباقية ضد الصفويين أسفرت عن إنقاذ بغداد، وهو الأمر الذي نال تقدير السلطان القانوني إذ "فرح وأكرم حسين بك وزاد في إيالته. ولم تمض إلاّ سنتان حتى اندلعت ثورة واسعة في منطقة الأهوار في جنوبي العراق، قادها علي ابن عليان، وباتت تشكل خطراً داهماً على الوجود العثماني في المنطقة، فأصدر السلطان العثماني أمره إلى السلطان حسين الولي "باتخاذ التدابير العسكرية الواجب اتباعها" والمشاركة في الحرب التي كان يقودها والي بغداد اسكندر باشا ضد ذلك الثائر[40]. كانت مشاركة

---

[37] شرفنامه ص278

[38] محفوظ العباسي: إمارة بهدينان العباسية ص58

[39] أوليا جلبي في كردستان ص212

[40] دفتر مهمة 6 ص578 في 13 ذي القعدة 972هـ/1564م

سلطان حسين مهمة ومؤثرة في مجريات المعارك التي كانت تجري في بيئة صعبة، بعيدة تماماً على ما تعود عليه جنوده، وقد استمرت العمليات العسكرية التي خاضتها هذه القوات نحو سنتين، نال خلالها السلطان حسين البهديناني أكثر من شكر وتكريم، من ذلك أن أمير أمراء بغداد والقائد العام اسكندر باشا أرسل في 21 رجب 975هـ/1576إلى السلطان كتاباً ذكر فيها ما قم به أمير أمراء شهرزور مع قواته في محاربة المتاريس وبناء القلاع، فاشتمل الحكم "على تقدير السلطان له وتوجيهاته السنية وأمره بمتابعة الجهود والمساعي الحميدة في سبيل الدولة العلية" وقد جرى توجه حكم مماثل إلى"حاكم العمادية سلطان حسين بك"[41]. ولم تنته المعارك، إلاّ بعد أن ألحقت القوات العثمانية خسارة فادحة بقوات ابن عليان والقبائل الملتفة حوله، استخدمت فيها من الخطط العسكرية والأدوات ما يتفق وطبيعة المنطقة الصعبة. وباستسلام ابن عليان نفسه، واعترافه بالسلطة العثمانية، جرى تكريم السلطان حسين الولي "بتوجيه خلعة فاخرة له من السلطان تكريماً لخدماته في سفر [=حرب] ابن عليان، مع أمير أمراء بغداد والآخرين من الأمراء الكرام"[42].. لم تقتصر حروب السلطان حسين الولي على المعارك البرية فحسب، والمعارك التي تجري على سمطحات مائية كالأهوار، وإنما شملت المعارك البحرية أيضاً، ففي سنة 979هـ/1571م شارك بقوات كبيرة في حملة بحرية ضخمة استهدفت فتح قبرص، بعد أن كانت هذه الجزيرة قد أصبحت حصناً اتخذه الصليبيون لقطع طرق الملاحة البحرية الإسلامية، كما شاركت أيضاً قوات كردية من ديار بكر، فبلغ عدد المقاتلين نحو 100000، تقلهم 400 سفينة مسلحة، وبعد معارك بحرية وبرية عنيفة، استغرقت 13 شهراً، تم فتح الجزيرة واتخاذها ولاية عثمانية، ثم غادرتها تلك القوات عائدة إلى مواطنها الأولى. وقد عبر السلطان العثماني سليم الثاني عن امتنانه من أمير بهدينان في فرمان اشتمل على تقديره "للبطولات التي يسجلها الأمراء الأكراد في الحروب الدائرة مع الكفرة".

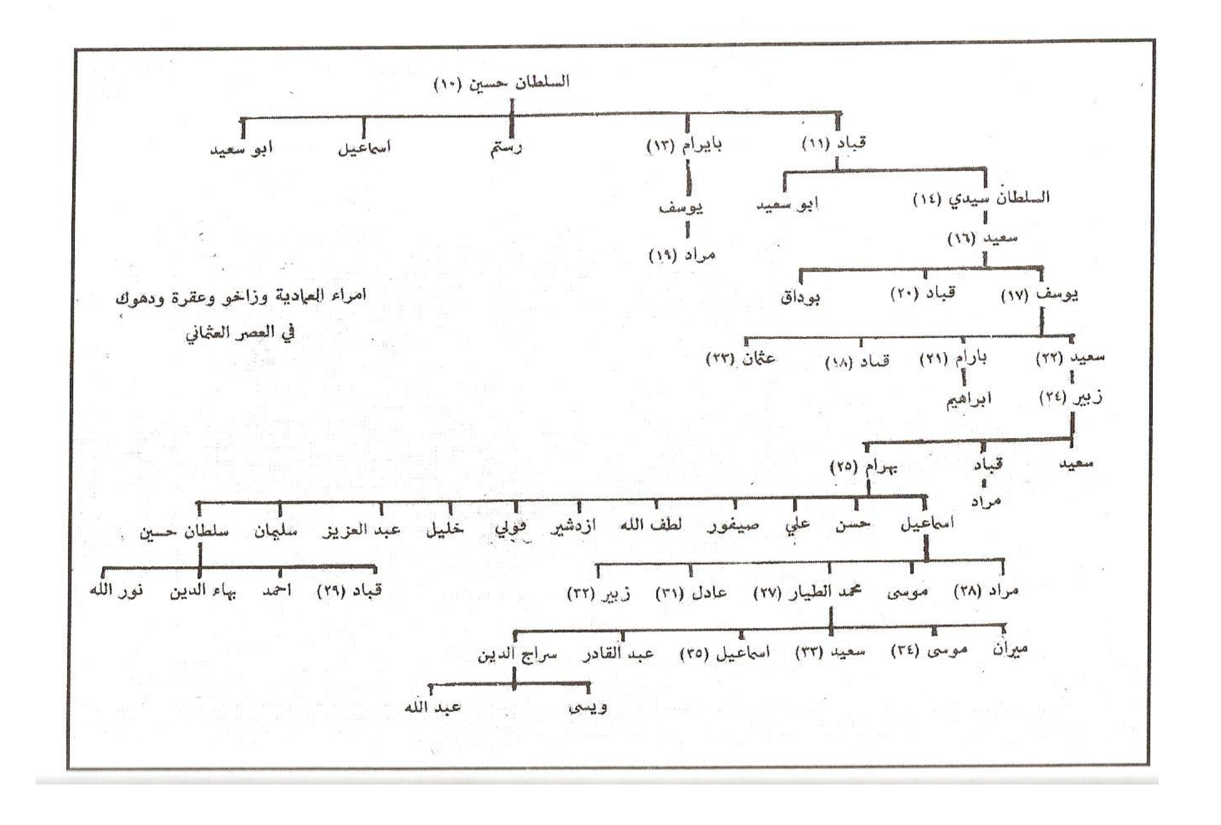
اهتم السلطان حسين الولي بالجوانب الحضارية لإمارته، من ذلك أنه ربط أجزاء إمارته الواسعة بطرق ممهدة تسهل انتقال الجيوش في أثناء الحركات العسكرية، فضلاً عن تنقل القوافل التجارية، وأنشأ عدداً من الخانات على الطرق لتكون محطات لنزول تلك القوافل، كما أقام عدة جسور وقناطر على الأنهار التي تعترض الطرق الرئيسة تيسيراً لاجتيازها، وشيد، أو عمر، المدارس والمساجد، ومنها مدرسة قبهان، والجامع الكبير، كما حصن مدينة العمادية نفسها، وأنشا دار الحكم فيها، وانفرد، أو شارك، في بناء قلاع عدة في أنحاء إمارته أو في خارجها، فضلاً عن إرسائه

---

[41] دفتر مهمة 7 ص264

[42] دفتر مهمة 7 ص515، ذي الحجة 975

قواعـد الحكـم والإدارة والماليـة. وكانـت وفاتـه في رجـب مـن سـنة 981هـ/1573م، ودفـن في عاصمته العمادية، وشيدت على قبره قبة أنيقة، زينت جدرانها بكتابات تؤرخ وفاته. عد عصره أكثر عصور إمارة بهدينان ازدهاراً وقوة، وأكثرها خصباً وانتاجاً: فكرياً وعمرانياً واقتصادياً[43].



[43] للإستزادة عنه ينظر: الآرشيف العثماني: الوثائق المشار إليها في متن المادة، والشجرة الزيوكية، وشرفنامه ص127 ورحلة أوليا جلبي في كردستان ص212 وسجل عثماني ج2 ص183 و131 وإمارة بهدينان العباسية ص58 والأكراد في بهدينان ص130 وتاريخ العراق بين احتلالين ج4 ص 64 و108 والعزاوي: العمادية ص38 وكتابنا: السلطان حسين الولي أمير بهدينان، أربيل 2009 ومحمد عبد الله ئاميدي: سه ردمي زيرين ل ميركه ها به دينان، نشر في كتاب: ديدارا ديروكي ل دور ئاميديي، دهوك 2009، ص181-191.

شجرة ذرية السلطان حسين الولي



ختم السلطان حسين الولي كما هو في مخطوطات مكتبة مدرسة قبهان

حسين الولي، ضريح السلطان

دفن السلطان حسين بك الولي سنة 981هـ في المقبرة السلطانية الواقعة في الجنوب الشرقي من العمادية، وأقيمت على قبره قبة فخمة تعد واحدة من أبرز ما تبقى من آثار الإمارة الشاخصة حتى اليوم. تحتل القبة مساحة مثمنة يتراوح طول كل ضلع فيها بين 2,60 و2,64 متراً، ويبلغ ارتفاع جدرانها 4,40 متراً، وقد بنيت بالحجارة المهندمة ومادة الجص فقط. وتوجد في الجدارين الشرقي والغربي كوى صغيرة شبه مستطيلة لغرض التهوية والإضاءة. وتستند على هذه الجدران قبة شبه مكورة، مبنية بالحجارة المهندمة أيضاً، تقوم على قبة داخلية رصت حجارتها بدقة، وللقبة مدخل معقود بالحجرة المهندمة يقع في الجدار الشمالي منها، ثبت عليه باب من الخشب. وفي أعلاه، ثمة شريط كتابي بخط الثلث المجود يتضمن العبارة الآتية (قال الله سبحانه وتعالى كل شيء هالك إلاّ وجهه توفي السلطان الأعظم الأعدل سلطان حسين بيك في شهر شعبان سنة 981) وفي داخل القبة وخارجها ثمة زخارف هندسية ونباتية نفذت بشكل بارز، كما يوجد شريط زخرفي بعرض 11 سم، نفذ باللون الأسود، يمثل زخرفة نباتية. ويتوسط القبة القبر، وعليه صندوق من خشب الساج قد زخرف بزخارف هندسية عن طريق الحشوات والتعشيق تمثل نجوماً ومثلثات وغيرها[44].

---

[44] كتابنا ونرمين علي: شواهد المقبرة السلطانية في العمادية، ص36-39 وعبد الله خورشيد: العمائر الإسلامية في العمادية، إطروحة دكتورا غير منشورة، مقدمة إلى كلية آداب جامعة صلاح الدين، أربيل 2007، ص152-157.



السلطان قباد خان بن السلطان حسين

تعد الحقبة التي حكم فيها السلطان قباد بك بن السلطان حسين بك البهديناني مرحلة تحول في تاريخ إمارة بهدينان، بدأ فيها حكم الإمارة يتجه نحو الضعف، فبعد أن استطاع أمراء بهدينان السابقون أن يقيموا حكمهم على أسس قوية قوامها ما عرفوا به من ورع وعدل من جهة، وقدرة على تأليف تحالفات قبلية ساندة من جهة أخرى، فإن حكم قباد بك اتسم بالتفريط الواضح من الجهتين، فهو وإن كان ابناً لأعظم أمراء الإمارة شأناً، وأكثرهم حنكة سياسية، فإنه لم يرث عن أبيه شيئاً من هذا كله، فإدارته لشؤون الإمارة الداخلية كانت تتسم بالإضطراب وعدم التفريق بين ما هو مهم وما هو أقل أهمية، وهكذا فإنه كثيراً ما كان يتوقف عن حسم الأمور المهمة، كالجرائم الكبرى والخيانات، بينما يمضي في التنكيل بأصحاب المخالفات الصغيرة[45] فأفقده هذا احترام العشائر الساندة.

والظاهر أن السلطات العثمانية لاحظت هذا الضعف ورصدته، فإننا نجد في الوثيقة المؤرخة في 16 ربيع الأول 982 هـ/1574م[46] ما يشير إلى أن أمراً قد صدر إلى حاكم العمادية وقاضيها (يتعلق بالقبض على بعض المفسدين المخربين فيها، ومنهم محمود بن شكر الله وأحمد وأبو بكر زبير وتاج الدين وذلك لاعتداءاتهم على الناس وارتكابهم جرائم القتل والنهب) وجاء فيه (أن حكماً سابقاً صدر إليه في الموضوع ولكن القضاء عليهم لم يتحقق حتى الان) وقد

---

[45] أنور المائي: الأكراد في بهدينان ص131 ومحفوظ العباسي: إمارة بهدينان العباسية ص58

[46] دفتر مهمة 26 ص73.

نص الحكم على (إجراء ما يلزم وفق الشرع الحنيف). ومن المؤسف أن المصادر المتوفرة لا توضح هوية أولئك (المفسدين المخربين) ونوع ما كانوا يتسببون فيه من مشاكل تناهي خبرها إلى السلطان العثماني نفسه.

ومن ناحية أخرى فإن صراعه المستمر مع أخيه الأكبر بهرام بك على حكم الإمارة، أضر بهيبة أسرته بين تلك العشائر، إلى الحد الذي جعلها تنشطر في ولائها بين الأخوين المتنافسين، وهو أمر خطير يعني تفكك التحالف العشائري الذي كان سبباً في الإستقرار السياسي للإمارة لقرون عدة. وكانت أولى القوى العشائرية التي انتهزت ضعف الإمارة، إمارة الداسنية، التي ما زالت ذكرى صراعاتها مع جيرانها الأقوياء حية ماثلة في أذهان أتباعها، ففي الوثيقة المؤرخة في 10 جمادى الأولى 982هـ/1574م[47] ثمة معلومات مهمة عن تحركات قامت بها العشائر المنضوية تحت زعامتها، حيث تضمنت هذه الوثيقة أمراً موجهاً إلى أمير أمراء بغداد جاء فيه (أن حاكم العمادية قباد بك أرسل كتاباً إلى السلطان ذكر فيه أن جماعتي داسني ويزيدية من أهل الشقاوة والفساد وقد مردتا [لعلها: دأبتا أو تعودتا] على خلق الفِتن وارتكاب جرائم القتل والنهب والسرقة، وبينهم الشيخ عز الدين وابنه الشيخ بركات وأتباعه، وكان قد صدر حكم شريف في القضاء عليهم فتم بموجبه قتالهم وقتل بعضهم وتمكن الآخرون من الهرب، ولا يزال الشيخ بركات يمارس أعماله التخريبية بمن لديه من الأشقياء اللصوص في نواحي الموصل وأربيل، كما التمس حاكم العمادية في كتابه من السلطان عدم توجيه مقاطعة لأحد منهم كما نص على مطاردة المجرمين منهم والقبض عليهم وإجراء ما يلزم في حقهم وفق الشرع الحنيف دون التعرض للأبرياء). وهنا لابد من القول بإن قباد بك ورث هذه المشكلة من عهد أبيه السلطان حسين أمير بهدينان السابق.

ونفهم من عدد من الرسائل التي كان أمير أمراء بغداد يبعث بها إلى السلطان العثماني مدى ما كان تحظى به مشاكل الداسنية من اهتمام المسؤولين في بغداد بوصفها تمثل تهديداً لطرق التجارة بين الموصل وبغداد. ففي الوثيقة المؤرخة في 20 صفر 982[48] نقرأ أن حكماً موجهاً إلى حاكم العمادية جاء فيه (أن أمير أمراء بغداد علي- دام إقباله- أرسل كتاباً إلى السلطان ذكر فيه أن الناس القادمين إلى بغداد من الموصل يتعرضون لاعتداء الأشقياء وقُطاع الطريق عليهم ولدى التحقيق تبين أن هؤلاء الأشقياء من أكراد الجزيرة ومن طائفة داسني في العمادية، وقد نص الحكم على مطاردتهم والقبض عليهم ومعاقبتهم وفق الشرع الشريف تأميناً لسلامة الناس وأمن الطريق

---

[47] دفتر مهمة 26 ص193

[48] دفتر مهمة 21 ص50

كما نص الحكم على أنه سيكون مسؤولاً ومعاتباً إذا استمرت هذه النشاطات التخريبية للأشقياء من إيالته).

وتكشف الوثيقة المؤرخة في10 جمادى الآخرة 982هـ/ 1574م عن ظهور بوادر النزاعات القبلية التي ستتفاقم في عهود الأمراء التالين، ونشوب أول تمرد على الأسرة الحاكمة قامت به عشيرتا السندي والسليماني (السليفاني) التي طالما كانتا أهم دعائم التحالف العشائري للإمارة. فها نحن نقرأ في هذه الوثيقة حكماً موجهاً إلى أمير أمراء (مير ميران) بغداد يتعلق بكتاب (ورد إلى السلطان من حاكم العمادية قُباد بك دامت معاليه، يذكر فيه أن عشيرة سيدي [كذا والصحيح: سندي] [و] سليماني [سليفاني] في اللواء الذي تم توجيهه إلى أخيه بهرام -دام عِزُّه- مردت [ربما يقصد: دأبت] على التمرد والفساد، وإن الذي يُحرِّضها على التمرد ويساعدها في ذلك هو بدر بك، وأن هذه العشيرة منعت أخاه بهرام من الدخول في لوائه) وقد نص الحكم على (قيام أمير أمراء بغداد بإجراء تحقيق في الأمر ويأمره بإرسال كتاب ورجل من طَرَفه إلى بدر بك المذكور يدعوه بصورة مؤكدة إلى فرض الطاعة والنظام على عشيرته ومنعها من المخالفة للأوامر الشريفة والقبض على المفسدين المعاندين).

ولا توضح الوثيقة هوية بدر بك المذكور، والراجح من لقبه (بك) أنه أمير لواء في المنطقة، ولكن تصريح الوثيقة بضرورة فرضه النظام (على عشيرته) يدل على أنه كان رئيساً لعشيرة أيضاً، فضلاً عن كونه قد أنيطت به إمارة لواء في الوقت نفسه، بيد أن المعلومات المتوفرة عن إدارة كُردستان في العهد العثماني لا تفيد بوجود لواء بهذا الاسم. ويظهر أن المشكلة ظلت قائمة حتى العام التالي، إذ نجد في الوثيقة المؤرخة في14 محرم 983هـ/1575م[49]، حكماً موجهاً إلى أمير أمراء بغداد، بالمضمون السابق نفسه، إلاّ باستثناء واحد، وهو جعل المحرِّض على الفساد في العشيرتين (شيخ أمير) لا (بدر بك)، فلا ندري ما إذا كان الاسمان لرجل واحد، أم أنهما رجلان مختلفان. ففي هذه الوثيقة نقرأ أن كتاباً ورد إلى السلطان من حاكم العمادية قباد بك يذكر فيه (فساد وشناعة طائفتي السندي والسليماني، وإن المدعو شيخ أمير هو المحرض على الفساد، وهو رأس الأشقياء فألقى القبض عليه ووضعه في السجن، وقد نص الحكم على احضار الشيخ المشار إليه إلى مجلس الشرع ومحاكمه في مواجهة خصومه فإن ثبت فساده وشناعه ثبوتاً شرعياً وَجَب إجراء ما يلزم في حَقِّه وفق الشرع الحنيف)، ولا توضح الوثيقة سبب تحريض شيخ أمير على (الفساد) الذي تشير إليه.

[49] دفتر ذيل مهمة 2 ص240

وفي 2 رجب 983هـ/1575م[50] نقرأ حكماً موجهاً إلى أمير أمراء بغداد(وهو يومذاك علي باشا الوَند زاده) يتعلق بكتاب ورد منه، التزم بوجهة نظر الأمير البهديناني من مشكلة أخيه بهرام، حيث ذكر (إن البعض من أقرباء قباد بك وزعماء العشائر في العمادية يسلكون طريق الطغيان والعصيان ويعتدون على الناس)، وقد نص الحكم على (إلقاء القبض عليهم ومحاكمتهم وفق الشرع الحنيف لرد الأمور إلى نصابها والحقوق إلى أصحابها).

وكان أمير أمراء بغداد هذا قد دأب على تزكية قباد بك والثناء عليه امام السلطان العثماني، فالوثيقة المؤرخة في التاريخ نفسه[51] تتضمن حكماً موجهاً إلى حاكم العمادية قباد بك جاء فيه (أن أمير أمراء بغداد بعث بكتاب إلى السلطان أثنى فيه على حاكم العمادية وذكر أنه معروف بعدالته في الحكم ووقاره وحُسن قيامه بشؤون الرعايا والبرايا وإجرائه مراسيم الدين المبين وترويجه سُنَن سيد المرسلين وعدم ادخار جهد في سبيل الدولة العلية).

وثمة وثيقتان تحملان التاريخ نفسه، وهو 15 شوال سنة 983هـ/ 1575م[52] مهمة تتضمن الأولى أمراً موجهاً إلى أمير أمراء شهرزول[= شهرزور] جاء فيه (أن حاكم العمادية قباد بك أرسل كتاباً إلى السلطان يذكر فيه فساد أخيه بهرام أمير لواء في البصرة وشناعته) وقد نص الحكم على (القبض عليه وحبسه) بينما احتوت الوثيقة الأخرى عرضاً لطريقة ماكرة للإيقاع ببهرام بك، وهو في أثناء وجوده في أحد ألوية شهرزور، حيث تضمنت حكماً موجهاً (إلى حاكم العمادية يتعلق بالموضوع السابق) وجاء فيه (أن حكماً شريفاً صدر إلى أمير أمراء شهرزول بالقبض على أخيه بهرام واستخدام السياسة في ذلك حيث يدعوه إلى الحضور في وليمة عنده ويلقي القبض عليه ويحبسه).

ولنا أن نلاحظ هنا أن قباد بك يصف أخاه بأمير أمراء البصرة، وبالطبع فإنه لم يكن قد وصلها، لأنه لو فعل ذلك، لما أمكن لأمير أمراء شهرزور أن يدعوه إلى تلك الوليمة الفخ، ولعل الخطة بُيتت على أساس دعوته إليها في أثناء مروره بشهرزور في طريقه لتسلم منصبه في البصرة. وعلى أية حال فإن موانع غير واضحة لنا حالت دون وصوله إلى البصرة استغرقت بضعة شهور أخرى، وتكشف الوثائق التالية عن أن بهرام لم يتول منصب (أمير أمراء البصرة) وإنما منصب أمير

[50] دفتر مهمة 27 ص53

[51] دفتر مهمة 27 ص983

[52] دفتر مهمة 27 ص202

أحد ألويتها فحسب، فها نحن نجد أن الوثيقة المؤرخة في 20 ربيع الأول 984هـ/1576م[53] تشير إلى أمر (جاء فيه إنه تم توجيه لواء في البصرة إلى قدوة الأمراء الكرام بهرام دام عزه ابن حاكم العمادية سلطان حسين بك).

ويظهر أن بهرام أدرك الهدف من وراء تعيينه في البصرة، حيث تذكر الوثيقة نفسها (ولكنه لم يصل حتى الآن إلى محل عمله ولم يتسلم مهام منصبه، وقد نص الحكم على إرسال رجل من طرفه إليه من أجل تعجيل وصوله إلى مقر عمله). وهكذا فالرجل لم يذهب إلى البصرة أصلاً، ومن ثم لم يمر بشهرزور ليقع فيما نصب إليه من كمين هناك، ولبث متحصناً بالعشائر التي تحالفت معه في لواء الجزرة (حيث إمارة بوتان الكُردية) ريثما يعد العدة للاستيلاء على إمارة آبائه في بهدينان القريبة. ونقرأ في الوثيقة المؤرخة في 19 جمادى الأولى 984هـ/1576م[54] حكماً موجهاً إلى أمير أمراء شهرزول يتعلق (بكتاب ورد من قاضي الموصل يذكر فيه أن بهرام من أولاد المتوفى حسين بك حاكم العمادية السابق كان قد تم توجيه لواء قورنه إليه في البصرة ولكنه لم يذهب إلى اللواء المذكور وبقي داخل عشيرته في الجزرة [بوتان] وجمع حوله عدداً كبيراً من الأشقياء ثم انتقل إلى عشيرة زيباري في العمادية ويطالب ببعض النواحي والقلاع في العمادية على أن يتم توجيهها إليه بطريق اللواء.

وذكر القاضي في كتابه هذا (أن بهرام هذا سلك طريق الشقاوة والفساد وجمع حوله رجالاً من عشيرة زيباري أيضاً استعداداً للهجوم على حاكم العمادية بالفعل قباد بك دام عزه، ويقطع الطريق على التجار بين العمادية والموصل، وأدى ذلك إلى وقوف الحركة التجارية بينهما، وقد نص الحكم على السير عليه بقوة عسكرية والقضاء على فساده ونشاطاته التخريبية، كما تم توجيه أحكام مماثلة إلى أمير لواء الموصل وحاكم الجزرة).

وتكشف هذه الوثيقة المهمة عن عدة أمور، أولها أن بهرام تنازل عن مطالبته بحكم إمارة أبيه، رضوخاً للأمر الواقع فيما يبدو، واكتفى بالمطالبة بحكم بعض القلاع والنواحي من أعمال العمادية فحسب، ومعنى أن يحكمها بصفتها لواءً، أنه رضي بأن يكون حكمه فيها على أساس أنه معين من الدولة العثمانية، وليس على أساس الإمارة الوراثية كما هو الشأن فيمن يتولى هذه الإمارة في ذلك العهد. وكون الوثيقة تستند أصلاً إلى شكوى رفعها قاضي الموصل، يشير إلى تحريك الشكوى كان بمساع بذلها قباد بك لدى هذا القاضي ليأخذ الأمر شكلاً (شرعيا)، ولا

[53] دفتر ذيل مهمة 3 ص211

[54] دفتر مهمة 28 ص5-6

يعد أن يكون من قبل أمير أمراء الموصل، بهدف انتزاع بعض القلاع والنواحي من إمارة بهدينان، لإضعافها إزاء إيالة الموصل المنافسة. ومما يلف النظر أيضاً أن الوثيقة تشير إلى أن عشيرة الزيبار وضعت ثقلها إلى جانب الأمير المنافس بهرام بك، وإذ علمنا أن موقف هذه العشيرة القوية كان مناصراً للإمارة البهدينانية منذ أول نشوئها، بل أنها كانت تمثل أحد دعائم هذه الإمارة[55] فلا بد هنا أن نتساءل عن الأسباب التي دعت بها إلى الوقوف ضد الأمير البهديناني الشرعي وهو قباد بك، ولا جواب على هذا السؤال إلاّ بافتراض أنها كانت ترى الشرعية تتمثل ببهرام بك، بوصفه الابن الأكبر للسلطان حسين بك، وليس في قباد وإن كان الأخير هو الجالس على كرسي أبيه في العمادية. ومعنى هذا أن الصراع بين الأخوين أدى إلى غياب صورة شرعية الحكم في أعين القوى الساندة للإمارة.

وبلغت الخلافات بين الأخوين المتنازعين حداً أقلق السلطات العثمانية المركزية في استانبول، فسعت عن طريق الأمراء المجاورين إلى التوفيق بينهما بكل سبيل، فها نحن نقرأ في وثيقة مؤرخة في التاريخ نفسه، وهو اليوم 20 من ربيع الأول[56] حكماً موجهاً إلى حاكم الجزيرة (حيث إمارة بوتان) يتعلق (بالخلافات الواقعة بين حاكم العمادية قباد بك وأخيه بهرام بك)، ويبدو من فحوي الوثيقة أن قباد كان مستمراً في الشكوى من أخيه، حيث جاء في الوثيقة أنه أرسل كتاباً إلى السلطان يذكر فيه أن أخاه بهرام سلك طريق الغي والفساد واتفق مع المفسدين واتحد معهم في خلق بلبلة واضطراب في البلاد وإيقاع أضرار بالناس)، وقد نص الحكم (على قيامه بالنصيحة للأخوين وتنبيههما إلى نبذ الخلافات بينهما والعيش في مودة ووئام وأمن وسلام). ويظهر أن سياسة (نبذ الخلافات) لم تجد نفعاً أمام الشكاوى المستمرة لقباد بك، مما دفع بالسلطان العثماني إلى توجيه أمر إليه في جمادى الآخرة 984هـ/1576م[57] يتعلق بكتاب ورد منه إلى السلطان (يذكر فيه أن أخاه بهرام خارج عن دائرة الطاعة والانقياد وسالك طريق الشقاوة والفساد)، وقد نص الحكم على (القاء القبض عليه وارساله إلى استانبول مكبلاً ومقيداً تحت حراسة شديدة من رجاله الأقوياء).

وعلى الرغم مما انطوت عليه هذه الشكاوى من اتهامات خطيرة، من مثل (الاتفاق مع المفسدين) (وسلوك طريق الشقاوة) وغيرها، فإن قباد لم يتردد بعد بضعة أشهر (وبالتحديد في 15

---

[55] شرفنامه ص 139

[56] دفتر ذيل مهمة ج3 ص322

[57] دفتر مهمة 28 ص154

شوال سنة 984هـ/ 1576م[58]) من أن يتقدم بالتماس للسلطان العثماني بتوجيه لواء في ديار بكر إلى أخيه بهرام، وهو أمر يفهم منه أن تلك الاتهامات كانت محض ادعاءات لا صحة لها، وأن الهدف من ورائها لم يكن إلاّ القضاء على منافسة أخيه على حكم العمادية وأعمالها دون غيرها. والظاهر أن السلطات العثمانية كانت تدرك حقيقة تلك الدوافع، وإلاّ لما (نص الحكم على إسعاف طلبه عند وجود لواء شاغر فيها) (الوثيقة نفسها).

ولم تُنه محاولة قباد في السعي إلى إشغال أخيه عن مطالبته بحكم بهدينان بتوليه بعض ألوية ديار بكر، حُمّى الصراع الدائر بينهما، فقد وجدنا في الوثائق ما يدل على أنه استمر في كتابة الشكاوى عنه إلى السلطان العثماني، على النحو الذي جعل من الأخير يغير موقفه من بهرام، ليقرر معاقبته هذه المرة. فالوثيقة المؤرخة في 9 ذي القعدة 984هـ/1576م[59] تضمنت حكماً موجهاً إلى عدد من الولاة الأمراء (وهم أمير امراء شهرزول وبغداد وديار بكر وحاكم الجزرة [جزيرة بوتان] محمد[وهو الأمير محمد بن بدر بن شاه علي] وسهراني سليمان بك [أمير سوران] وحاكم العمادية قباد بك ويتعلق بكتاب ورد إلى السلطان من الأخير يذكر فيه أن أخاه بهرام وعدداً من الأشقياء المفسدين وبينهم علي وحمزة يرتكبون المخالفات ولا ينفكون عن إضلال الناس وتحريضهم على التمرد، وقد نص الحكم على القبض عليهم ومعاقبتهم وفق الشرع بالاتفاق والاتحاد بينهم)، وواضح من عدد أولئك (الولاة والأمراء) المكلفين بتنفيذ الحكم أن الأمر أصبح يشبه أن يكون قضاء على ثورة حقيقية تشمل مناطق واسعة من كُردستان الشمالية والجنوبية، فضلاً عن أمير أمراء بغداد.

ومن الغريب أن تعتمد الدولة شكوى قباد بك على هذا النحو، إذ لم يكن هناك ما يبررها، فهل استطاع بهرام، وقد آيس من تولي حكم إمارة أبيه، أن يقود ثورة كبيرة بهذه السعة يحتاج أمر القضاء عليها جهود أولئك الأمراء والولاة جميعاً، ذلك ما لا توضحه الوثائق، ولكن لنا أن نفترض أن مبررات القيام بالثورة كانت قائمة فعلاً، فالدولة لم تكن جادة في إرضاء بهرام، لأنها أجلت منحه لواء في ديار بكر (إلى حين توفر الشاغر)، وهو أمر غير محدد، كما أن تأييد عشيرة الزيبار له، على ما تذكر الوثيقة العثمانية المتقدمة، وعشيرة مزوري، و(هي من أهم العشائر في تلك المنطقة) كما تشير الشرفنامه[60]، دل على قوة التحالفات العشائرية التي استطاع بهرام أن

[58] دفتر مهمة 29 ص114

[59] دفتر مهمة 29 ص114

[60] ص143

يعقدها في تلك النواحي، وهو ما شجعه على تحول مطالبته بالحكم إلى حركة واسعة أصبحت تقلق السلطات العثمانية أشد القلق.

يؤكد ذلك ما قرأناه في الوثيقة المؤرخة في 3 رمضان 986 هـ/1578م[61] حيث تضمنت حكماً موجهاً (إلى حاكم العمادية قباد بك ويتعلق بالنشاطات التخريبية لطائفة الأكراد العمادية في الموصل ونواحيها كما عرض ذلك على السلطان قاضي الموصل)، وقد نص الحكم على (وجوب القبض على الأكراد الأشقياء في بلده والقضاء على نشاطاتهم التخريبية باتخاذ جميع التدابير اللازمة). وواضح أن المقصود بهذه (الطائفة) العشائر الكُردية التي وضعت ثقلها إلى جانب بهرام بك، في مطالبته المسلحة بحكم الإمارة البهدينانية، ووصفهم بالشقاوة ووسم حركتهم (بالنشاطات التخريبية) لم يكن إلاّ موافقاً لشكاوى أخيه قباد وحلفائه، وتعبيراً عما وصله الصراع بين الأخوين من حدة وعنف.

ولم يقتصر الأمر على تمرد بهرام بك فحسب، وإنما امتد ليشمل أطرافاً أخرى من الأسرة البهدينانية، ففي الوثيقة المؤرخة في يوم 22 من الشهر نفسه[62] نقرأ أن (الحكم موجه إلى حاكم العمادية قباد بك ويتعلق بكتاب ورد منه إلى السلطان يذكر فيه أن البعض من أقربائه وأتباعه على تمرد وعصيان ومنهم السيد قاسم وشاه رستم، ويلتمس من السلطان اصدار حكم شريف في القضاء عليهم)، وقد نص الحكم (على إلقاء القبض على كل من ظهر عصيانه للأوامر السنية وتمرده عليها وحبسهم وإعلام استانبول عن أحوالهم بالتفصيل)، فإذا علمنا أن السيد قاسم هو ابن السلطان حسن أمير بهدينان، وأن شاه رستم، هو ابن سليمان بك بن السلطان حسن نفسه، لاحت لنا على الفور خطورة التصدع الذي أصاب البيت الحاكم. وتوضح الوثيقة المؤرخة في 4 شعبان 983 هـ/ 1575م[63] أن لهؤلاء الأفراد مخصصات مالية بوصفهم من البيت الحاكم، إلاّ أنهم لم يقتنعوا بها. كما تبين الوثيقة، وهي تتضمن أمراً صدر من السلطان العثماني مراد الثالث (982- 1003هـ/1574- 1594م) (أن حكماً شريفاً كان قد صدر في القبض عليهم ومعاقبتهم في عهد جده السلطان سليمان [القانوني] عليه الرحمة والغفران ويأمره بإجراء مضمون هذا الحكم بمنعهم من ظلم الناس والاعتداء على حقوقهم).

[61] دفتر مهمة 35

[62] دفتر ذيل مهمة 3 ص262

[63] دفتر مهمة 27 ص73

وإذ أدت هذه الصراعات إلى إضعاف قوة الإمارة والإضرار بهيبتها بين الإمارات والقوى المجاورة، فإن قباد بك سعى إلى إيجاد حلفاء له من القوى التي ظلت بعيدة نسبياً عن الدخول في أتون تلك الصراعات. ومن هنا فإنه ساند أمير لواء لاجان (لارجان) على تخوم إمارته الشرقية، حينما أراد أمير شهرزول عزله. وها نحن نقرأ في الوثيقة المؤرخة في 10 ربيع الآخر 984هـ/1576م[64] أن حكماً موجهاً إلى أمير أمراء شهرزول، جاء فيه أنه (بموجب كتابه السابق إلى السلطان تم عزل أمير لواء لاجان عمر –دام عزه– عن منصبه بسبب ظلم أخوانه ورجاله للناس واعتدائهم على حقوقهم، وتوجيه لواء لاجان إلى أمير لواء كوي حسين دام عزه وتعيين الأمير السابق محمد دام عزه في لواء كوي، إلاّ أن حاكم العمادية قباد بك دامت معاليه بعث بكتاب إلى السلطان يزكي فيه الأمر عمر دام عزه، ويقول: إن غيره لا يقدر على ضبط الأمور وإدارة الشؤون في لواء لاجان، وإن إبقاءه في منصبه أولى وأنسب من تعيين آخر فيه)، وقد نص الحكم على (إعادته إلى لوائه من جديد، فيعود الأمير حسين دام عزه إلى لواء كوي، كما كان سابقاً، أما الأمير محمد فيتم تأمين لواء مناسب له في تلك الجوانب).

ومما يتصل بهذا الشأن تساهل قباد بك في أمر بيع بعض عشائر إمارته الخيول والدواب إلى الإيرانيين، بوصفه يمثل مصدراً اقتصادياً لتلك العشائر. ففي الوثيقة المؤرخة في 24 رجب 984 هـ/1576م[65] نقرأ أن حكماً موجهاً إلى (حاكم العمادية قباد بك) وجاء فيه أنه (اتصل بمسامع السلطان أن إيالته تبيع الأفراس والبغال للإيرانيين مع أن بيع هذه الدواب لهم متوقف على إذن خاص من السلطان ويأمره باستئذان السلطان في ذلك قبل الإقدام على بيع شيء من هذه الدواب لهم).

وعلى الرغم من هذه التفصيلات التي تقدمها الوثائق العثمانية عن إمارة بهدينان، مما لا نجده في المصادر المعاصرة الأخرى، فإننا لا نجد فيما هو متيسر لنا منها ما يوضح ظروف انتهاء الصراع بين الأخوين، ونهاية حكم قباد بك، وربما أفادنا البدليسي[66] في تقديم لمحة تاريخية عما حدث بعد ذلك، وخلاصة ما ذكره أن بهرام اضطر إلى اللجوء إلى إيران، وهناك (حظي بزيارة الشاه اسماعيل وفاز منه بمواعيد جليلة)، ولكن البدليسي نفسه، يذكر بعد سطور أن قباد كان سجيناً في سجن الشاه محمد، ولم يوضح الكيفية التي تحول فيها الضيف إلى سجين، وماهية تلك

---

[64] دفتر ذيل مهمة ص291

[65] دفتر مهمة 28 ص270

[66] شرفنامه ص143

المواعيد الإيرانية التي قطعها الشاه الإيراني، والتي لم تثمر في الحقيقة إلاّ السجن في قلعة نائية من إيران.

وعلى أية حال فإن بهرام استطاع الحصول على دعم عسكري من حاكم حكاري زينل بك، الذي استطاع تحريره من سجنه بعد دفع مبلغ ضخم، والتوجه من جديد إلى العمادية للمطالبة بحكومته الوراثية، ويظهر أن متغيرات ذات شأن دفعت بقباد إلى ترك مدينته والفرار إلى الموصل ومنها إلى ديار بكر، فاستانبول حيث حصل على وعد بمساعدته على حكم العمادية، بيد أنه اصطدم هذه المرة بمنافس جديد من أسرته، هو سليمان بن بايرك بن سيف الدين، الذي كان يتزعم عشيرة مزوري، فحاصروه في قلعة دهوك مدة حتى تمكنوا من قتله وأحد أبنائه وعدد من أعوانه، وبهذا انتهى حكمه في بهدينان، وخلا الجو لأخيه اللدود بهرام لتولي حكم الإمارة من بعده.

سليمان خان بك بن بايرام بك بن سيف الدين

تولى الحكم سنة 984هـ/1576م بتأييد من عشيرة المزورية بعد أن خلعت ابن عمه قباد بك، وكان عليه أن يخوض منذ أول عهده بالحكم صراعاً ضد قباد المذكور، وضد بايرام بك، أخي قباد، وكان يطالب بالحكم هو أيضاً. فأما قباد فإنه اضطر إلى ترك الساحة والفرار نحو الموصل وسنجار، وأما بايرام فحصل على حكم زاخو، ولبث متربصاً يراقب تطور الأحداث. وأخيرا تمكن قباد من السفر إلى استانبول حيث حصل على دعم بتعيينه أميراً على العمادية، ويظهر أنه حصل على دعم عسكري أيضاً، لأنه ما أن وصل بقواته إلى دهوك حتى بدأ بضرب العشائر المناوئة له هناك، وأحس سليمان خان بالخطر الذي يتهدد حكمه، فاتفق مع مير ملك، زعيم عشيرة المزورية، على مقاومة غريمه القادم، وشن مع حليفه هجوماً على قلعة دهوك، حيث كان يتحصن قباد المذكور، ونجح في كسب ولاء سكان القلعة أنفسهم، ففتحوا بابها، وألقى القبض على قباد مع أحد أبنائه وبعض أتباعه، وجرى إعدامهم فوراً. والرواية التي يسوقها البدليسي بعد ذلك يكتنفها شيء من الاضطراب، أو تنقصها تفصيلات موضحة لحقيقة ما حدث، فهو يذكر أنه لما وصل نبأ هذه الواقعة إلى بايرام، غادر زاخو هارباً لينضم إلى عشائره المساندة له، دون أن يقدم سبباً لهروبه، ويحتمل أنه خاف من أن يلقى مصيراً مثل مصير أخيه، أو أنه أراد أن يعد العدة لمواجهة سليمان خان وحلفائه من المزورية. إلاّ أن الرواية تشير إلى شيء مختلف تماماً، إذ تذكر أن سليمان ومير ملك ذهبا إليه، وعادا به ليقلداه حكومة العمادية، فتقلدها مضطراً أو كرهاً، دون

أن تقدم تفسيراً لهذه المواقف المتناقضة، إذ أنها سكتت عن سبب قبول سليمان خان بالتنازل عن حكم العمادية بعد توصل هو إليه، وحصل على تأييد المزورية إحدى أهم القوى هناك. كما لم تبين سبب تحويل المزورية ولاءها من سليمان خان إلى بايرام فجأة، كما لم توضح سبب قبول الأول بعرض مناوئيه السابقين، في أن يتولى الحكم في الإمارة، وكيف اطمئن إليهما وهو الذي سبق أن فر منهما ذعراً، كما أن من الصعب تصور كرهه لمنصب الإمارة، وقد اختاره هؤلاء أنفسهم أميراً عليهم. لا تمدنا المصادربمعلومات توضح مصير سليمان خان بعد أن اختار ترك الحكم بنفسه، وكل ما نعرفه عنه أنه أنشأ قصراً لأمه حبيبة خان، لا تشير إليه مصادر عصره، سنة 1091هـ/1680م، وسكتت المصادر التاريخية عن ذكر سنة وفاته[67]، ولكننا عثرنا على شاهد قبره في المقبرة السلطانية في العمادية فإذا به ينص على أنه توفي سنة 1020هـ.[68]



شاهد قبر سليمان خان بك

[67] شرفنامه ص143 وطارق ئاميدي، جريدة الاتحاد. www. Alitthad.com.

[68] شواهد المقبرة السلطانية في العمادية ص59

السلطان سيدي خان

أدت ظروف الصراع العنيف بين الأخوين قباد بك أمير بهدينان، ومنافسه بهرام بك، في أواخر القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد) إلى إضعاف هيبة الأسرة الحاكمة ليس بين العشائر الكردية التي يقوم على تحالفها حكم الأسرة، وإنما لدى الأوساط الحاكمة في استانبول، ولذا فقد شهد حكم بهرام بك- الذي وصل إلى حكم إمارته بعد مقتل قباد بك على يد منافس ثالث في قلعة دهوك نحو سنة 988هـ/1579م- مشاكل سياسية جدية، أبرزها تآمر سيدي خان بك ابن قباد بك عليه باقناعه السلطان العثماني مراد الثالث (982- 1003هـ/1574-1594م) بأنه الأحق بحكم بهدينان من عمه بهرام.

ولم يبد الأخير من الذكاء السياسي من يمكنه من اكتشاف خيوط المؤامرة التي كانت تحاك ضده، فرضي بالامتثال لأمر السلطان بالمشاركة في الحملة العثمانية الكبرى على جبهة جورجيا، في نفس الوقت الذي صدرت فيه الأوامر إلى (أمير أمراء بغداد وأمير أمراء شهرزول وسائر أمراء كردستان وحكامها) بالعمل على مساعدة سيدي خان على دخول العمادية، عاصمة الإمارة، وتولي الحكم فيها، وقد تولاها بالفعل في أواسط ذي الحجة سنة 993هـ/1584م[69]. أما بهرام نفسه فقد اعتقله فرهاد باشا، القائد العثماني في جبهة جورجيا، وسلمه هذا إلى سيدي خان الذي قتله ثأراً لأبيه[70] وهكذا بدأ حكم الأخير ليؤشر مرحلة جديدة من مراحل تاريخ علاقات الإمارة البهدينانية بالسلطة العثمانية المركزية، وهي مرحلة تتسم بمزيد من تدخل السلطة المذكورة في الشؤون الداخلية للإمارة.

وتتناول الوثائق العثمانية، التي ترتقي إلى القرن المذكور، بعض جوانب حكم سيدي خان، مما لا نجد مثله في المصادر المعاصرة، وأول تلك الوثائق يرقى إلى28 شعبان سنة 999هـ/1590م[71]،، وتتضمن الوثيقة المذكورة أمراً من السلطان العثماني صادراً (إلى حاكم العمادية سيد خان وقاضيي العمادية والموصل يتعلق بكتاب ورد إلى السلطان من أمير أمراء

---

[69] عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج4 ص255

[70] شرفنامه ص145

[71] دفتر ذيل مهمة 5 ص143

الموصل ملك أحمد دام إقباله[72] يذكر فيه أن ثمانية عشر شقياً من طائفة داسني أغاروا على ابن الأمير فرهاد وهو في طريقه إلى داره مع عدد من رجاله من العمادية فقتلوه وقتلوا أربعة من رجاله وأخذوا ما عندهم من أموال.. وقد نص الحكم على إلقاء القبض على المجرمين ومحاكمتهم والحكم عليهم وفق الشرع الحنيف). ولا توضح الوثيقة هوية ابن فرهاد هذا، وسبب قتل الداسنية إياه.

وتشير وثيقة أخرى، تاريخها 10 شوال من سنة 999هـ/1590م[73]، إلى أن حكماً صادراً إليه، وإلى عدد من الأمراء، منهم أمير أمراء شهرزول، وأمير أمراء الموصل، وأمير سوران، وأمير قره داغ، وأمير الأمراء السابق حسن، وإلى أمراء بعض الألوية الآخرين، يأمرهم بالقضاء على طائفة (داسني) القاطنة في موضع بين الموصل وأربيل، على ضفة نهر هناك معروف باسم زايده (كذا، ولعله محرف عن زابده وهو نهر الزاب).

وثمة وثيقة مؤرخة في محرم 1001هـ/1591م[74] تضمنت أمراً موجهاً إلى حاكم العمادية، ولا تسمه، مع أنه سيدي خان نفسه، لصدور الوثيقة في عهده، ويكلف الأمر الأمير المذكور بالاستعداد للمشاركة في الحملة العسكرية التي يقودها أمير أمراء بغداد خضر بك[75] على (المفسد مبارك)، يعني به السيد مبارك المشعشعي حاكم دسفول والحويزة في بلاد الأحواز، وأن (عليه الحضور إليه مع رجاله وأتباعه وعشائره والعمل تحت قيادته وبذل المساعي والجهود في إنجاز خدما مبرورة في سبيل الدولة العلية).

ويظهر أن موقف عشيرة الزيبار المؤيد لبهرام بك، ضد زعامة قباد بك، أبي سيدي خان، لم يكن قد أسدل عليه الستار بعد، وأن الأحقاد التي أثارتها مساندة العشيرة لذلك الأمير، لم تمحها تولية ابنه سيدي الحكم في الإمارة، ففي الوثيقة المؤرخة في شوال 1001هـ/1592م[76] نقرأ حكماً موجهاً (يتعلق بالقبض على أغا عشيرة زيباري المدعو حمزة لخروجه عن الطاعة وتمرده على حاكم العمادية، وجاء فيه أن أحكاماً شريفة وأوامر سامية صدرت إلى كل من أمير أمراء الموصل وديار بكر وحاكم الجزرة [بوتان] وحكاري وبتليس وغيرهم للقضاء على الشقي المذكور

---

[72] حكم الموصل من 999 إلى 1000هأ/1590-1591م. وكتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة في العراق في القرون المتأخرة، بغداد 1991، ص234.

[73] دفتر ذيل مهمة 5 ص98

[74] دفتر ذيل مهمة 6 ص60

[75] حكم بغداد من 1000 الى 1001هـ/ 1591-1592م. الأسر الحاكمة ص52

[76] دفتر مهمة 71 ص365

ورجاله وأعوانه إن لم يعودوا إلى دائرة الطاعة والإنقياد طوع أنفسهم، كما نص الحكم على توجيه حاكم العمادية دعوة إليه لنبذ الشقاق وإلتزام جانب الطاعة، أما إذا لم يفعل فيبعث برسائل إلى الأمراء والحكام المذكورين ويدعوهم إلى السير عليه لاستئصال جذور بغيه وفساده).

وواضح من فحوى الوثيقة أن ثورة الزيبار هذه تجاوزت مواطنها الأصلية في إمارة بهدينان، لتشمل مناطق أخرى بعيدة عن تلك المواطن، منها ديار بكر، وبوتان، وحكاري، وبتليس، في كُردستان الشمالية. ولا تفسير لسرعة هذا الانتشار الذي حققته ثورتهم، إلاّ بنجاحهم في عقد محالفات جديدة مع عشائر تلك المناطق، وأن أسباباً مشتركة، غير واضحة المعالم الآن، أدت إلى اشعال لهيب الثورة على السلطات العثمانية هناك. ونعتقد أن ثورة الزيبار هذه تستحق وقفة من الباحثين، حين تتوفر المصادر عنها، بوصفها تنخرط في سلك الانتفاضات الكثيرة التي قام بها الكُرد في العصر العثماني، والتي سكتت عنها مصادر العصر، أو عتمت عليها لسبب ما.

وكان على الأمير سيدي خان أن يقدم الدعم العسكري لحملة عثمانية، تقدمت بقيادة والي ديار بكر نصوح باشا سنة 1012هـ/1603م إلى بغداد للقضاء على حركة استقلالية قام بها أحد قادتها العسكريين، ويدعى (محمد بن أحمد الطويل)[77]، وبالفعل شارك الأمير في تلك الحملة، بيد أنه كان يبيت أمراً آخر، فقد كان يتعاون سراً مع ابن الطويل، مما أدى إلى هزيمة العثمانيين وجرح نصوح باشا نفسه، ثم انسحابه من بغداد. وقد عثر نصوح باشا على رسالة أرسلها سيدي خان سراً إلى ابن الطويل تدينه بتهمة التعاون مع عدوه، ومع ذلك فإننا لا نجد في الوقائع التاريخية ما يشير إلى أن سيدي خان تعرض إلى عقاب جراء موقفه هذا، والدليل على ذلك أن الدولة العثمانية اعتمدت عليه مرة أخرى في الحملة الكبرى التي جهزتها بقيادة أمير أمراء ديار بكر حافظ أحمد باشا للقضاء على تمرد بكر صوباشي في بغداد سنة 1032هـ/1622م، بل كلفته بتسليم رسالة من الأخير إلى المتمرد لإقناعه بالتخلي عن تمرده وإغرائه بتوليته بغداد.[78]

وعلى الرغم من سكوت المصادر عن مصير سيدي خان بعد أن أفضى تمرد الصوباشي إلى احتلال إيراني جديد لبغداد، فإن من المؤكد أنه انسحب مع القوات العثمانية المنسحبة إلى عاصمة إمارته في العمادية، حيث جرى تكليفه بدعم الجبهة العثمانية في كُردستان، وبخاصة أمراء ألوية الحدود التي يتوقع أن تعرض ألويتهم إلى خطر هجومات إيرانية محتملة. ويدل على ذلك ما ورد في

---

[77] مرتضى نظمي زاده: كلشن خلفا، ص211.

[78] عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج4 ص173

وثيقة مؤرخة في 23 ذي القعدة 1019هـ/1610م[79] بأن (الحكم موجه إلى سيد خان دام علوه حاكم العمادية وجاء فيه أن كلالي دام عزه أمير أمراء لاجان بعث برسالة إلى السلطان يذكر فيها أن لواءه واقع على الحدود وقد تم توجيه هذا اللواء إليه مقابل خدماته للدولة العلية وأنه قريب من العدو وقد يتعرض لاعتداء عليه من قبله فيحتاج إلى دعم ومساعدة لرده وقد نص الحكم على إسعاف طلبه عند الحاجة).

ويظهر أن قوات إمارة بهدينان اكتسبت من الخبرة في حروب الأهوار في جنوب العراق، ما دفع السلطان العثماني إلى الاعتماد عليها مرة أخرى في حرب مماثلة في المنطقة نفسها، ففي سنة 1001هـ/1592م جمع حاكم (دسفول) و(الحويزة) السيد مبارك، وهو أحد أمراء المشعشعيين هناك، عدداً ممن تسميهم الوثيقة المؤرخة في الأول من محرم من تلك السنة[80] (الأشقياء وقطاع الطرق) بهدف (الاعتداء على التجار وأبناء السبيل في طرق بغداد والبصرة). وتتضمن الوثيقة طلباً إلى (حاكم العمادية) بـ(الاشتراك في الحملة العسكرية على المفسد مبارك) التي كان يعدها أمير أمراء بغداد، وإن عليه (الحضور إليه مع رجاله وأتباعه وعشائره) والعمل تحت قيادته في القضاء على مبارك المذكور. ولا تسمي الوثيقة حاكم العمادية هذا، ولا شك في أنه السلطان سيدي خان بك، ولابد لنا أن نتصور صعوبة مشاركة قوات أكثرها فرسان مدربون على حروب جبلية، وفي جو بارد جاف غالباً، في حروب تجري في منطقة أهوار ومستنقعات، حيث يكثر القصب، وترتفع درجة الحرارة، وتزداد نسبة الرطوبة إلى حد كبير، ولا شك في أن تلك القوات كانت قد اكتسبت من حروب البصرة التي أشرنا إليها خبرات قتالية جعلتها تتمكن من التكيف مع البيئة الجديدة المختلفة عن بيئتها طبيعة ومناخاً.

يوسف خان بك بن السلطان سيدي خان بك، الأمير

تولى الإمارة من سنة 1041 إلى 1048هـ/1631-1638م، ولا تمدنا المصادر التاريخية المحلية بمعلومات عنه، بينما توضح الوثائق العثمانية أنه أدى أدواراً مهمة في عمليات استرداد الموصل وكركوك من السيطرة الصفوية قبل أن يتقدم السلطان مراد الرابع إلى العراق بحملته الكبرى سنة 1048هـ/1638م. فالوثيقة المؤرخة في 15 شعبان 1046هـ/1636م[81] تتضمن أمراً موجهاً

[79] دفتر مهمة 79 ص477

[80] دفتر 8 الرقم 60

[81] دفتر مهمة 86 ص81

إلى حكام كل من مهران، والعمادية، وبابان، والطاوس، يتعلق بوجوب اضطلاع الكُرد بدور بارز في المجهود الحربي "يتعلق بالأمور الدفاعية عن الموصل وكركوك" كذا مع أن المدينتين كانتا عهد ذاك خارج السيطرة العثمانية، ويشتمل على تعليمات حول "العمل الموحد والتعاون الوثيق بينهم في ذلك". ولا تصرح الوثيقة باسم حاكم العمادية، وتدل القرائن التاريخية أنه السلطان يوسف خان بك بن السلطان سيدي المذكور.

وكان أوليا جلبي قد ذكر في كتاب رحلته (أوليا جلبي سياحتنامه سي) رواية مفادها أن يوسف خان هذا (وتصفه بأنه أمير المزورية ربما لأن هذه العشيرة كانت تعد أكبر العشائر المنضوية تحت زعامته) لم يحضر إلى بغداد (للتشرف) بمقابلة مراد الرابع إثر استرجاعه العراق من أيدي الإيرانيين، مما أثار غضب السلطان إلى حد أن أمر بقتله. فهذه الوثيقة إذن تكشف عن دور عسكري لا تنوه به مصادر عصره. ولابد لنا هنا أن نشير بأن تكليف السلطان لأمير بهدينان بهذا الدور، يفضح عدم دقة ما أشارت إليه بعض المصادر المتأخرة[82] من أن السلطان مراد الرابع لم يكن قد تعرف على الإمارة البهدينانية إلاّ حينما نزل في (جول نصيبين) حيث قدّم إليه أميرها قباد خان بك الثاني سنة 1048هـ/1638م مراسم الطاعة، فمنحه السلطان حكم الإمارة على سبيل الوراثة، فالوثائق العثمانية إذن تقطع بأن معرفة السلطنة العثمانية بإمارة بهدينان وإمكاناتها العسكرية كان سابقاً على هذا التاريخ بمدة طويلة. وأشار محمد أمين زكي إلى أن ملك أحمد باشا استولى على ملكه وحبسه مدة في ديار بكر، وبعد أن دفع غرامة كبيرة خرج من الحبس، وعاد إلى إمارته. وليس في المصادر ما يوثق هذه المعلومات[83].

سعيد خان بك الثاني بن يوسف بك، الأمير

تولى إمارة بهدينان في عهد يوسف خان بك بن بايرام بك بن السلطان حسين الولي، وبتفويض منه، مدة قصيرة لا تتجاوز الثمانية أشهر من سنة 1041هـ/1631م، ولا تعلم أسباب ذلك التفويض، إن كانت بسب مرض ألمّ بالأخير، أو غياب لسفر ما، أو على سبيل الوصية عند قرب

---

[82] ياسين العمري: غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، بغداد 1968ص 93

[83] أوليا جلبي سياحتنامه سي، والأكراد في بهدينان ص140 ومشاهير الكرد وكردستان ج2 ص430 وتاريخ مشاهير كرد، أمرا وخاندانها، ج2 مج3 ص134 وكتابنا دراسات وثائقية في تاريخ الكرد الحديث وحضارتهم، أربيل 2008، ص167-168.

وفاته. وقد وصفه ناسخ لمخطوطة، معاصر له، بأنه "الحاكم العادل "، وأنه كان "أباً رحيماً للطلاب والفقراء". وأبدى أسفه الشديد على وفاته[84]..

قباد خان بك الثاني، الأمير

لا تعرف نسبته في شجرة حكام بهدينان، والإشارة الوحيدة إليه أوردها ياسين العمري، إذ ذكر أن السلطان مراد الرابع حينما نزل في (جول نصيبين) قدم إليه أميرها قباد خان بك، "بعساكره من الأكراد"، سنة 1048هـ/1638م مراسم الطاعة، فمنحه السلطان حكم الإمارة على سبيل الوراثة، فإذا كانت هذه الرواية صحيحة، يكون تسلسله في حكام بهدينان بعد يوسف خان بك بن سعيد خان بك[85]

مراد خان بك بن يوسف خان بن بايرام بك، الأمير

من غير المحدد تاريخ توليه الإمارة، ولا طريقة وصوله إلى الحكم، ويمكن أن نضعه في تسلسل أمراء بهدينان بعد الأمير قباد خان بك الثاني. عني بالجوانب العسكرية، فنظم جيشه، وزاد عدده حتى بلغ نحو عشرة آلاف فارس، ومثلهم من المشاة. كما عني أيضاً بتنظيم العلاقة العسكرية مع إمارة الداسنية في الشيخان، فصار عليها تقديم الدعم العسكري كلما طلب منها الأمير البهديناني ذلك، وقد نجحت هذه العلاقة في أن يقدم أمير الداسنية ميرزا (باشا فيما بعد) دعما كبيراً لحملة السلطان مراد الرابع في أثناء معركة استرداد بغداد من أيدي الصفويين سنة 1048هـ/1638م، فضلاً عن قوات كردية أخرى بقيادة قباد بك، وهو ابن عم مراد خان بك. ومن ناحية أخرى استطاع الأخير أن يسترد المناطق الشمالية من إمارته، التي سبق أن استولى عليها الحكاريون سنة 1060هـ/1650م، بل أن يتقدم بقواته ليستولى على مناطق من إمارة حكاري نفسها. والظاهر أنه لم يكن يهدف إلى الاحتفاظ بها، أو ضمها بصفة نهائية إلى إمارته، وإنما إلى ردع جيرانه فحسب، لأنه سرعان ما انسحب منها نزولاً عند وساطة بعض شيوخ اليزيدية. تزوج من أخت أمير سوران (ميره بك)، فكانت تلك المصاهرة سبباً في استقرار الأوضاع في التخوم الشرقية للإمارة. كان مراد خان بك محباً للعلم، لأننا وجدناه يؤسس مدرسة في العمادية نسبت إلى اسمه، ووقف عليها الكتب القيمة. ووصفه كاتب متأخر بأنه كان حصيفاً متزن الرأي، حسن التدبير

---

[84] الأكراد في بهدينان ص140 و186 وكتابنا: مراكز ثقافية معمورة في كردستان، أربيل 2008ص24

[85] غاية المرام ص93 وزبدة الآثار الجلية ص67-68.

والإدارة والخلق الرفيع. ومما يؤكد هذا الوصف أنه لم يبد تهافتاً على الحكم إلى آخر لحظة في حياته، كما جرت عادة حكام عصره، وإنما اعتزل الحكم، ونصب ابن عمه قباد بك أميراً مكانه[86].

قباد خان بك بن سعيد خان بك، الأمير

تولى الحكم سنة 1072هـ/1662م بتفويض من ابن عمه مراد خان بك بن يوسف خان. اهتم بشؤون جيش الإمارة، وبزيادة عدد مقاتليه، حتى بلغ عددهم نحو عشرين ألف مقاتل، نصفهم من الفرسان، والنصف الآخر من المشاة، فتمكن من القضاء على حركة عسكرية قادها أحد مدعي المهدوية، وفي عهده قامت حركة انفصالية في منطقة بروراي بالا، تولى قيادتها عبدال بالوكي أحد رؤوساء بروراي بالا، وأمير حكارى خالد بك بن عماد الدين بك، فاتخذ قباد أسلوباً دبلوماسياً في القضاء على هذه الحركة، إذ أمر ملك عزيز، أحد خصوم أمير حكاري، بضرب عبدال بالوكي وحليفه، فقام هذا بإرسال ابنه كلائي على رأس قوة عسكرية لتنفيذ المهمة، إلاّ أنه فضل عدم الاشتباك بقتال، واستعان بالحيلة حين نجح في اغتيال عبدال وأبنائه الخمسة واثني عشر من خدمه، والظاهر أن هذه الحادثة كانت سبباً في فك عُرى التحالف بين البرواريين والحكاريين من جهة، وتأسيس ملك عزيز أسرة جديدة تولت حكم بروراي بالا طيلة الحقبة التي حكمت فيها إمارة بهدينان، ولم تسقط إلاّ بسقوطهم. وفي سنة 1084هـ/1674م صدت قوات قباد بك هجوماً شنه جيش الحكاريين بقيادة الأمير خالد بك. اهتم بالعلم والعلماء، ففي مخطوطة فتاوى ابن حجر المكي، مؤرخة في سنة 1081هـ/1671م (المركز الوطني للمخطوطات في بغداد، العدد 16922) وجدنا تعليقة يقول كاتبها، مصطفى بن محمود، أن "الأمير الكبير الشأن العظيم الإحسان" أمر بـ"كتابة علماء بلدته.. طلباً لمرضاة الله وحسن تربيته، جزاه الله تعالى وفق ارادته، وأبقاه مترفاً في حكومته وعدالته، والعلماء في محبته"[87]. استمر حكم قباد بك إلى وفاته سنة 1090هـ/1679م، وأعقب ثلاث بنات، إحداهن هي زوجة بارام خان بك بن يوسف خان بك، الذي تولى الإمارة من بعده[88].

---

[86] المائي: الأكراد في بهدينان ص140-143 ومحفوظ: إمارة بهدينان العباسية ص67-70.

[87] الأكراد في بهدينان ص147 وإمارة بهدينان العباسية ص72 ومسعود كتاني: مدرسة قوبا، دهوك 2009ص355.

[88] ينظر المائي: الأكراد في بهدينان ص144-146 ومحفوظ: إمارة بهدينان العباسية ص70-71

بارام خان بك بن يوسف خان بك، الأمير

لا يعلم تاريخ ولادته، ولكنه تولى إمارة بهدينان سنة 1090هـ/1679م، بتفويض من عمه وصهره قباد خان بك، وقد عُرف بالحزم والدهاء، حافظ على علاقات حسنة مع الدولة العثمانية، فنال لقب (مير ميران). وتوفي سنة 1093هـ/1682م على إثر كبوة جواده. [89]

عثمان بك، السلطان

بدأ حياته أميراً على بلدة العقر، وكانت البلاد تمر عهداك بأحداث دامية ومنازعات مسلحة نشبت بين عشيرتي مزوري والزيبار من جهة واليزيدية من جهة أخرى، وانتهت هذه النزاعات بمقتل سلفه وأخيه الأمير السابق سعيد خان بك الثاني سنة 1111هـ/1699م ثم تولى الحكم أميراً لبهدينان، وعرف بحسب مدونة على باب العمادية الشرقي باسم (السلطان)، وفي هذا إحياء لهذا اللقب المهم الذي حمله أمراء بهدينان الأوائل، لا سيما في القرن السادس عشر. ووصف شاهد عيان السنين الأولى من حكمه بأن البلاد "كانت تنعم بالسلام، والناس يرفلون بالرخاء". على أنه لم يلبث أن "وقعت حوادث عنف واندلعت الاضطرابات في جميع البلد"[90] ونهبت قرى، وكثر السلب بين الناس، وأظهر عثمان تماهلا في إصلاح الأمر، بل زاد في فرض الضرائب، فاتخذ ابن عم له، (أو أخ)، هو زبير بك، وكان أميراً على زاخو، من ذلك سبباً للثورة عليه، والتفت حوله القبائل، فاضطر عثمان إلى الكيد له بأن أظهر له المودة والرغبة في حقن الدماء، ودعاه إلى المجيء إليه في العمادية، وثمة اختلاف كبير في مصيره، فبينما تذكر رواية أن عثمان أمر باغتيال زبير بك[91]، واغتيال أبنائه الذين في زاخو، تذكر روايات أخرى أنه تنازل له عن حكم بهدينان طوعاً[92]، ومن غير المعقول أن يكون تكون حياة زبير قد انتهت على هذه الصورة، لأننا سنجده يتولى السلطة فيما بعد بفرمان سلطاني، وإذا كان هذا التنازل قد حدث فعلا فإنه سرعان ما استعاد منصبه، حيث تكشف الكتب الصادرة إليه من الدولة العثمانية عن وجوده في هذا المنصب في سنة 1118هـ/1706م، وتتضمن هذه الكتب أوامر حاسمة بضرورة ملاحقته من

---

[89] المائي ص147 ومحفوظ: ص72 وكتاني: مدرسة قوبا ص355.

[90] بعض الوقائع من تاريخ كردستان، جمعه من مخطوطات كلدانية أدي شير، ترجمه عن الفرنسية نرمين علي، دراسه وتعليق عماد عبد السلام رؤوف، مجلة الأكاديمية الكردية، العدد24 السنة 2013، ص387.

[91] المصدر نفسه ص388

[92] المائي: ص147 ومحفوظ: ص72

سمتهم برؤوس الفتنة، وتسليمهم إلى والي الموصل لمعاقبتهم. ونظراً لأن أكثر هؤلاء من زعماء قبيلتي الزيبار والمزوري، فقد امتنع السلطان عثمان عن تنفيذ ما صدر إليه من أمر[93]، ربما لصِلته القوية بهاتين القبيلتين اللتين تمثلان أهم القوى الساندة للإمارة. شهدت مدة حكمه تدهوراً سريعاً في علاقات بهدينان بولاية بغداد، وسبب ذلك التدهور هو ربط السلطان العثماني شؤون الإشراف على بهدينان بوالي بغداد القوي حسن باشا (1116-1136هـ/1704-1723م) بعد أن كانت ترتبط به مباشرة. ففي الوثيقة المؤرخة في أواخر رجب سنة 1126هـ/1714م حكم من السلطان العثماني إلى أحمد باشا، يقرر فيه، بناء على ما عرضه الأخير بالطبع، أن "تقرير الأمن والنظام في العمادية يقع على عاتق الوالي حسن باشا، وأن عليه التوجه إلى المنطقة إذا اقتضى الأمر على راس قواته لتسوية الأمور فيها"[94]. وبحسب الوثيقة نفسها فإن السلطان عزل عثمان بك ونَصَب (بهرام) خلفاً له، وهو أمر يتعارض مع معلومات المصادر المحلية التي تضع بعد عثمان على التعاقب: قباد بك ثم زبير باشا الأول، وتتحدث الوثيقة عن معارضة عثمان بك لأمر تنصيب خلفه بديلاً له، حيث تذكر أنه "منعه من الوصول إلى محل عمله وتسلم مهام منصبه". كما تتحدث أيضاً عن "نشاطات تخريبية لعثمان حاكم العمادية السابق". ومع ذلك كان عثمان بك —كما وصف- متضلعاً بالفقه والدين، ووصف عهده بالازدهار، وكان من أعماله العمرانية أنه رمم الباب الشرقي لمدينة العمادية، المسمى باب الزيبار، وكانت ثمة عبارة على هذا الباب، ونصها "رمم هذا الباب السلطان عثمان بك".



لوح من حجر الحلان ذكر فيه اسم السلطان عثمان

[93] دفتر مهمة 115 ص125 وص126 و163، ودفتر مهمة 122 ص129 والمائي: الأكراد في بهدينان ص148 ومحفوظ: إمارة بهدينان العباسية ص73

[94] دفتر مهمة 122 ص129

زبير باشا بن سعيد خان بك، الأمير

كان أميراً على زاخو حينما أغتيل أبوه سنة 1111هـ/1699م، سافر إلى استانبول ليعرض ولاءه للباب العالي، فحصل على فرمان يقضي بتوليه إمارة بهدينان، وعزز ذلك بإصدار أمر إلى والي الموصل علي باشا يقضي بتقديم الدعم له حتى يتولى منصبه، فتولاه رسمياً سنة 1113هـ/1701م. وكان يحكم الإمارة قبله عمه عثمان باشا، فتنازل له هذا عن الحكم طوعاً، وامتثالاً للأمر السلطاني الذي معه. عرف زبير باشا بالحكمة وحسن السياسة، فقد صاهر حاكم الجزيرة محمد بك، وبذلك استقرت الأحوال بين الإمارتين، بل أثمرت تعاوناً عسكرياً مفيداً، فحين تعرض أمير حكاري على المناطق الشمالية لإمارة بهدينان، واجتاحت قواته، بقيادة (جل قدر) النواحي الشرقية من برواري بالا التابعة للإمارة، أمد أمير الجزيرة أمير برواري بالا بقواته، التي تمكنت بالتعاون مع القوات التي أرسلها زبير باشا، بقيادة عمه عثمان بك، في دحر قوات حكاري وقتل (جل قدر) وعدد من قادته وأتباعه. احتفظ زبير باشا بعلاقات وثيقة مع السلطان العثماني، وبجيرانه من الأمراء والولاة، فتمتعت الإمارة في عهده بالاستقرار، ولا نعلم حقيقة الأسباب التي دعته إلى التنازل عن الحكم إلى ولده بهرام باشا، والاكتفاء بحكم زاخو، ليعيش فيها حتى قتل فيها سنة 1144هـ/1731م[95].

[95] الأكراد في بهدينان ص229-230 وإمارة بهدينان العباسية ص74-77 ومحمد علي قرداغي: ميزووي زانياني كورد، بغداد 1998 ج4 ص345، حيث ورد في مخطوطة محفوظة في المركز الوطني للمخطوطات أنه "الحاكم في بلدة زاخو في العمادية". وورد في مخطوطة أخرى أنه في سنة 1118هـ/1706م توفي بهرام باشا حاكم عماديه، ويقع هذا التاريخ ضمن سني إمارة زبير باشا، فلا ندري إي إسماعيل هذا الذي توفي في هذه السنة. زانياني كوردج3 ص187

3- أمارة بهدينان منذ القرن الثامن عشر وحتى سقوط الإمارة

أثبت أمراء بهدينان في هذا العصر أنهم ما زالوا القوة المؤثرة في الأوضاع العامة في المنطقة، لا سيما في العراق، ومن هنا استمر العثمانيون في اعتمادهم في القضاء على الحركات المعادية، والانفصالية، حيثما بدت على مسرح السياسة عهدذاك. بيد أن هذه السياسة أخذت تصطدم، منذ أن تولى حسن باشا، ثم ولده أحمد باشا، ولاية بغداد وتوابعها في مفتتح القرن الثامن عشر، بسياسة مركزية جديدة، تقول بتقوية ولاية بغداد وجعلها المسؤولة عن الشؤون العامة في العراق كله، وهي السياسة التي تجلت بربط ولاية البصرة ببغداد، ثم ولاية شهرزور، ثم انتهت بربط الشؤون العليا لإمارة بهدينان بوالي بغداد، مع الإبقاء على الاستقلال الذاتي للإمارة قائما كما كان العهد عليه منذ دخول الإمارة في الدولة العثمانية. وبذلك أصبح على الأمير البهديناني أن يخاطب والي بغداد بدلا من مخاطبته السلطان العثماني مباشرة. وهكذا صارت بهدينان طرفاً فيما كان يعرف بـ(الخطة العراقية) أي في شؤون السياسة العثمانية في العراق. ولقد استغل ولاة بغداد لا سيما في عهد المماليك (1749-1831م) هذا المتغير الجديد لصالحهم، فقووا صلاتهم بالإمارة إلى حد كبير، مقيمين نوعاً من التنسيق بينهم وبينها من أجل الضغط على ولاة الجليليين في الموصل (1726-1834م) وإدخالها في ضمن محور بغداد، وكانت الموصل قد لبثت وحدها خارج نطاق هذا المحور، حتى انتهاء حكم الأسرة الجليلية، وإن أخذت تقترب منه في عهدها الأخير

ومن ناحية أخرى فإن التحالفات القبلية التي طالما كانت تمثل القوى الساندة لحكم أمارة بهدينان يدت أكثر عرضة، في هذا العهد، إلى التفكك، أو التخلي أحيانا عن هذا الأمير لصالح غيره من أقربائه، وهو ما أدى إلى أن تكون في أثناء الصراعات الأسرية إلى قوى ضافطة، أو مؤثرة في الأقل، على شؤون الحكم. وهو ما كان سببا في اضحاف الإمارة في عهدها الأخير، بل مهد لسقوطها في منتصف القرن التاسع عشر. وبالمقابل فقد دعم الأمراء تحالفاتهم مع الإمارتين القويتين اللتين كانتا داخلتين ضمن الإمارة وهما إمارة برواري بالا (مركزها قلعة قمري) وإمارة الشيخان اليزيدية (مركزها بلدة الشيخان) وذلك للاستفادة من ثقلهما في التوازن مع القبائل القوية في المنطقة، ولحفظ ما أمكن من استقرار البلاد.

حكم العمادية خلال هذه الحقبة، البالغة نحواً من قرن ونصف عشرة أمراء، حكم أولهم وثانيهم نصف هذه المدة بينما حكم الآخرون ما تبقى منها.

وهم:

1- بهرام باشا الكبير 1126-1182هـ/ 1714-1768م
2- إسماعيل باشا بن بهرام باشا 1182-1213هـ/1768-1798م
3- محمد الطيار باشا بن إسماعيل باشا 1213-1214هـ/1798-1799م
4- مراد باشا بن إسماعيل باشا 1214-1218هـ/1799-1803م
5- قباد بك بن سلطان حسين 1218-1219هـ/1803-1804م
6- عادل باشا بن إسماعيل باشا 1219-1223هـ/1804-1808م
7- زبير باشا بن إسماعيل باشا 1223-1240هـ/1808-1725م
8- محمد سعيد باشا بن محمد طيار باشا 1240-1250هـ/1825- 1834م
9- موسى باشا بن محمد طيار باشا 1250هـ/1835م
10- إسماعيل باشا الثاني محمد طيار باشا 1251-1258هـ/1836-1842م

بهرام باشا الكبير بن زبير باشا، الأمير

ولد سنة 1107هـ/1695م، وعاش في العمادية في كنَف والده فعيّن له عيسى ده لا، أحد دهاة عصره، مرافقاً خاصاً له، والظاهر أنه كان يعده ليكون خلفاً له، ثم تنازل له عن الإمارة سنة 1126هـ/1714م. تميزت فترة حكمه بتداعيات داخلية وخارجية كثيرة، وقد ابتدأ عهده بتنفيذ مهمة أمره بها السلطان العثماني، وهي التعاون مع والي الرقة يوسف باشا للقضاء على عصيان خليل باشا الرشواني، الذي أعلن تمرده على الدولة. ويذكر كاتب متأخر أن رشوان المذكور أعلن عصيانه في الموصل، بعد أن دخلها عنوة، وأن قوات بهرام باشا حاصرت المدينة من جهاتها الشمالية، بينما حاصرتها قوات يوسف باشا من جهاتها الغربية، وليس في المصادر، لا سيما الموصلية[96] ما يدل على أن مكان التمرد كان في الموصل أصلاً، فضلاً عن أن هذه الرواية، غير الموثقة، لا تتحدث عن حصار الجوانب الشرقية والجنوبية من المدينة. وعلى اية حال اضطر الرشواني إلى الاستسلام لبهرام باشا، وحينما سلمه إلى يوسف باشا قام الأخير بإعدامه. واستغل

[96] محمد أمين العمري: منهل الأولياء تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل 1968 ج1 ص141 وزبدة الآثار الجلية ص227.

الحكاريون، خصوم إمارته التقليديون، غيابه عن إمارته، فشنوا هجوماً على إمارة برواري بالا، التابعة لأمراء بهدينان، واقتحوا قاعدتها (بيت نور) وقتلوا حاكمها كلائي بك، ومعظم أفراد أسرته، عدا ولده الصغير سعيد بك، وكان طبيعياً أن يستنجد هذا ببهرام باشا، ليستعيد حكم أبيه وليثأر لأسرته، فأمده بهرام بقوة عسكرية تمكنت من استرجاع بيت نور، وإعادة سيادة بهدينان على بروراي بالا من جديد. وشهد عهد بهرام ظهور انشقاقات جديدة في الأسرة الحاكمة، إذ ثار عليه أخوه سعيد باشا، ووقعت اشتباكات عدة بين الطرفين، كان أشدها معركة قرب سُمّيل انتهت باندحار سعيد باشا سنة 1126هـ. ويظهر أن الأخير كان يحظى بدعم من والي بغداد حسن باشا (1116-1136هـ/1704-1723م)، فأنه سرعان ما استغل النزاع بين الأخوين، فأخذ يتدخل في شؤون إمارة بهدينان الداخلية، بل بلغ به الأمر أن أرسل قوات كبيرة، مزودة بمدفعية ثقيلة، إلى العمادية، تمكنت من فرض حصار عليها، وضربها بالمدافع، وواضح أنها كانت تستهدف إسناد سعيد باشا في مطالبته بالحكم، إلاّ أن وفاة الأخير المفاجئة سنة 1131هـ/1717م، والمقاومة التي أبدتها العمادية، فضلاً عن حصانتها الطبيعية، أدت إلى فشل الحملة في تحقيق غاياتها، وانسحابها إلى خارج الإمارة. وعلى الرغم من موقف حسن باشا السَلبي من بهرام باشا، فإن ذلك لم يمنع الأخير من المشاركة في الحملة الكبرى التي قادها ابنه والي بغداد التالي أحمد باشا على إيران، بعد انهيار الحكم الصفوي فيها، فالوثيقة المؤرخة في أوائل جمادى الآخرة سنة 1139هـ/ 1726م تتضمن أمراً إلى حاكم العمادية "يأمره بتجهيز جيش من رجال قبائله وعشائره والالتحاق بها إلى والي بغداد وسَر عسكر (قائد أعلى) جانب همدان وأصفهان أحمد باشا"[97]. وقد أبلت هذه القوات البلاء الحسن فيما خاضه أحمد باشا من معارك فتح فيها مدن إيرانية عديدة في غربي إيران، بيد أن الدعاية الدينية التي بثها الأفغانيون، وهم الذين استولوا على جانب من إيران آنذاك، أدت إلى انسحاب القوات الكردية فجأة من ساحة القتال، فأسفر ذلك عن اندحار أحمد باشا أمام الأفغان، مما زاد من نقمته على بهرام باشا، على أساس أن معظم تلك القوات كان تابعاً له، هذا مع أن الوثائق العثمانية نفسها تؤكد الدور المهم الذي أدته القوات الكردية في وقائع الحرب. وقد وصفها مؤرخ معاصر بقوله "وكانت طليعة عسكر الوزير الأكراد، إذ كما يعهد أنهم الكماة الأجواد"[98]. وقد كلف السلطان بهرام باشا، إضافة إلى متصرفي بابان وكوي، بتقوية منطقة كركوك بالعساكر والمهمات "حيث يمكن الوثوق بهم والاعتماد عليهم"

---

[97] دفتر مهمة 133 ص438.

[98] حديقة الزوراء ص315.

وقد أنعم السلطان على بهرام بـ"خلعة فاخرة تكريماً لخدماته الجليلة للدين المبين والدولة العلية"[100]، ولم تمض إلاّ أشهر معدودة حتى كلفه بمد بغداد بقوة عسكرية قوامها 500 جندي[101] وبـ 500 فارس[102] فيما بعد. وتكرر تكريم السلطان له للسبب نفسه في أوائل شعبان1147هـ/ 1734م. وثمة رواية[103] تفيد بأن أحمد باشا كان لفرط نقمته على بهرام قد اتبع نفس السياسة التي اتبعها أبوه من قبل، وهي ضربه بمنافس آخر من أسرته، وكان المرشح لأداء هذا الدور هو علي خان، ابن عم بهرام، فقد حرضه على الخروج عن طاعة ابن عمه، والقيام بأعمال التخريب وقطع الطرق في إمارته. ولم يكتف بذلك فحسب، وإنما أرسل قواته بقيادة كتخداه (نائبه ومساعده) لمساندة علي المذكور، وأمر خانه بك البابابي بالانضمام إلى تلك القوات. حاصرت القوات المذكورة مدينة العمادية وحاولت بكل وسيلة اقتحامها غير مرة إلاّ أنها فشلت فشلاً ذريعاً، فاضطر الكتخدا إلى عقد اتفاق مع بهرام باشا، يقضي بدفع ما عليه من ضرائب مستحقة، وأن يعين علي آغا حاكماً على دهوك، وواضح أن الطلب الأخير لم يكن إلاّ لحفظ ماء وجه الحملة التي لم تحقق في الواقع شيئاً. وكان الصلح الذي جرى بين الطرفين قد أثار قلق والي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي، بسبب الخصومة الشديدة بين الأخير وبين والي بغداد، فما كان منه إلاّ أن قاد حملة عسكرية توجهت إلى العمادية حيث حاصرتها سنة 1151هـ/1738م[104]. وقيل سنة 1153هـ/1740م "فصالحه بهرام باشا على مال"[105]. وتضررت طرق التجارة بسبب هذه الحملة. ويظهر أن حملة الوالي الجليلي نبهت أحمد باشا إلى ضرورة التخلي عن فكرة إثارة المشاكل لبهرام باشا، بل والتحول إلى مساندة حكمه، وبالفعل، أخذت العلاقات بين الطرفين تمر بمرحلة جديدة من التعاون، ففي سنة1160هـ/1747م أرسل أحمد باشا حملة عسكرية بقيادة كتخداه سليمان آغا لقمع تمرد عسكري كان يقوده سلطان بدر الدين بك، ضد بهرام باشا، فنجحت الحملة في مهمتها، واتفق الكتخدا وأمير بهدينان على إنهاء

---

[99] دفتر مهمة 139 ص10-11

[100] دفتر139 ص122 في أواسط رمضان 1145هـ/1732م

[101] دفتر مهمة 140 ص372

[102] دفتر 140 ص310)

[103] عبد الرحمن السويدي: حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، بتحقيقنا، بغداد 2003ص 590 والمائي: الأكراد في بهدينان ص153

[104] قراداغي: زانياني ج3 ص136

[105] العمري: زبدة الآثار ص94 وغاية المرام ص108

كل أسباب الخلافات بين بغداد والعمادية. وعلى الرغم من مواجهة بهرام باشا تمرداً مسلحاً جديداً قاده هذه المرة بيرام بك بن سلطان بدر الدين، مطالباً بالحكم أيضاً، إلاّ أننا لا لم نعد نلمح دعماً لهذا المتمرد من أحمد باشا، ولذا استطاع بهرام باشا أن يفك حصاراً عن العمادية قام به بيرام المذكور، وإلحاق خسائر كبيرة في قواته. حاصر الأخير زاخو، فطلب حاكمها يحيى بك إسناداً عسكرياً من بهرام، وأرسل بهرام قواته بقيادة ابنه اسماعيل بك (باشا فيما بعد)، فدارت في قرية (ملكي) معركة عنيفة بين الطرفين انتهت باندحار القوات البهدينانية، ولما وصل نبأ تلك الهزيمة إلى بهرام باشا، خرج على راس قواته إلى ساحة المعركة، إلاّ أنه لم يجد أعداءه، لأن بيرام بك فضل الانسحاب، واللجوء إلى إمارة بوتان (الجزيرة). وذكر ياسين العمري أن المعركة دارت سنة 1183هـ/1769م فتكون قد حدثت بعد وفاة بهرام باشا، ويكون إسماعيل بك قد قاد جيشه بصفته أميراً على بهدينان، وهكذا عاد الأمير البهديناني إلى عاصمته دون قتال. عني بهرام باشا بشؤون العمادية الدفاعية، بسبب كثرة ما واجهه من حصارات، وكان أهم ما أدخله إليها في هذا الأمر المدفعية التي نصبها على أسوارها لترد على مدافع المهاجمين، كما ضمن ولاء زعماء العشائر بأن فرض عليهم تقديم رهائن من أسرهم ليضمن عدم خروجهم ضده. وكانت وفاته في مصيف (سر عمادية) في فجر يوم الإثنين 13 شعبان سنة 1182هـ/ 4 تموز سنة 1768م، وقد بلغ من العمر ثلاثة وسبعين عاماً[106]، وصفه معاصره ياسين العمري بـ"واسطة عقد ملوك الأكراد، صاحب هِمّة وسَداد، معدود من الأجواد"[107].. ووصفه كاتب مسيحي بأنه "حاكم صالح مستقيم"[108].

[106] ينظر عنه مذكرات دومنيكو لانزا ص62 ورحلة نيبور إلى العراق، ترجمة محمود الأمين ص76 ومنهل الأولياء ج2 ص141 وغاية المرام ص107 وزبدة الآثار الجلية ص94-95 وص128 وتاريخ العراق بين احتلالين ج5 ص263 ودوحة الوزراء ص93 والمائي: الأكراد في بهدينان ص152-155 ومحفوظ: إمارة بهدينان العباسية ص78-81 وخضر العباسي: صفحات خالدة ص34 وشاولي: إمارة بادينان ص51-63 تاريخ مشاهير كرد، أمرا وخاندانها ص136

[107] ياسين العمري (منسوب إليه) روضة الأخبار في ذكر أفراد الأخيار الورقة 172

[108] إيليا أبونا: تاريخ بطاركة البيت الأبوي، الموصل 2009 ص101

إسماعيل باشا بن بهرام باشا، الأمير

ولد في منتصف القرن الثاني عشر تقريباً (18م)، ولأنه الابن الأكبر بين أخوته، فقد تولى الإمارة بعد وفاة أبيه سنة 1182هـ/1768م[109]، وورث، فضلاً عن المنصب، مشاكل حكم عميقة يصعب حلها إلاّ بالقضاء على أطرافها، ولم يملك هو الرغبة، أو القسوة، اللازمة لفعل ذلك، مما أدى إلى تفاقم تلك المشاكل إلى الحد الذي بات يهدد مكانة الأسرة بين العشائر الساندة لنظامها. وأول تلك المشاكل عهداً استمرار تحرك بايرام بك بن سلطان بدر الدين في منطقة عقره ونواحيها، وكان إسماعيل قد واجه هذا التحرك في آخر عهد أبيه، حينما نصبه أبوه قائداً للقوات التي أرسلها لصد تقدم قوات خصمه. وكان بايرام بك، الطامح إلى الحكم، قد جمع حوله عشيرة الزيبار، وهي إحدى أكبر عشائر الإمارة، وسيطر بها على العقر وكِندير، والأولى هي ثاني أهم قلاعها وأمنعها، فتكون حركته قد أمست تُنذِر بتقسم الإمارة أو شطرها. شعر بيرام بقوته فتقدم إلى العمادية ليحتلها، ويفرض نفسه عليها قسراً، وأدرك إسماعيل باشا خطورة الأمر، فكان أن خرج إليه، بقواته، إلى خارج العمادية، حيث دارت بين الطرفين معركة ضارية أسفرت عن هزيمة بايرام وفراره من أرض المعركة، بينما تشتتت قواته، وغنمت قوات إسماعيل باشا منهم كميات وافرة من البنادق والسيوف والخناجر، وقُتل اثنان من زعماء الزيبار. أدرك بايرام بك فشل الأسلوب العسكري في خلع إسماعيل باشا عن الحكم، فقرر التوصل إلى الهدف نفسه سلماً بواسطة الأسلوب السياسي، فقصد سنة 1183هـ/1769م والي بغداد رغبة في أن يحصل منه على أمر بتنصيبه أميراً على العمادية، ووجد والي بغداد في هذا الطلب فرصة للتدخل في شؤون الإمارة الداخلية، فضلاً عن حصوله على مبلغ طائل من المال هدية من بايرام أو رشوة، ولذا فإنه أسرع في إصدار الأمر بتنصيبه، وعزّزه بتكليفه متصرف قلا جولان محمد بك ليساعده على تنفيذه في حال رفض إسماعيل باشا الانصياع له. تقدمت قوات أمير قلا جولان إلى العمادية، فحاصرتها مدة خمسة اشهر دون طائل، وأخيراً انسحبت هذه القوات، فاضطر بايرام ومن معه من المقاتلين الانسحاب إلى قلعته، وهناك قام بجمع ما أمكنه من العشائر حوله، ثم تقدم بهم إلى العمادية، وقبل أن يصل إليها كانت الأنباء قد بلغت إسماعيل باشا، فخرج بقواته إليه حيث التقى الطرفان قرب قرية (هه مزيك) غرب العمادية، فدارت معركة انتهت بهزيمة بايرام وفراره إلى الجبال حيث توفي هناك. ويظهر أن حصول هذه النزاعات بين أفراد البيت الواحد، وانشغال إسماعيل باشا بها،

[109] ياسين العمري: غاية المرام ص102، 107.

شجعت الطامعين من الحكام المجاورين على استغلال الفرصة لتحقيق مصالحهم. من ذلك أن هاجم عبد الباقي باشا، وهو من مماليك بغداد، قرى العمادية ونهب ما أمكنه منها، لكنه لقى مصرعه في غارة ثأرية شنّها عليه زعماء من عشائر الزيبار والمزوري والبرواري. وشنت عشيرة تِيارى سنة 1189م/ 1775م هجوماً آخر على قرى برواري بالا، إلاّ أن إسماعيل باشا، تمكن بالتعاون مع والي الجزيرة محمد بك، من صد هذا الهجوم، والتنكيل بالغزاة بقسوة، سنة 1191هـ/1777م، حيث جرى قتل 70 رجلاً منهم. وفي 1197هـ/1782شن هجوماً على قريتي (شاه قولي) و(كرمليس) التابعتين لولاية الموصل عبد الباقي باشا الجليلي[110]. وفي سنة 1201هـ/1786م بدأ صراع اسري جديد يلقي ظله على مجمل الحياة العامة في بهدينان، إذ ثار عليه أربعة من أخوته، هم صَيفور بك، ولطف الله بك، وحاجي خان بك، وحسن بك، فقام إسماعيل باشا بطردهم من العمادية، وساروا إلى زاخو حيث أيّدتهم عشائر كثيرة هناك، منهم بعض عشائر اليزيدية بزعامة جُولو بك، فاستولوا على البلدة بسهولة. واضطر إسماعيل باشا إلى توجيه حملة عسكرية بقيادة أخيه علي خان بك، وتمكن هذا من تحقيق نصر سريع على الثائرين، أسفر عن استرداد زاخو، وإلقاء القبض على صَيفور وحاجي خان، بينما اضطر لطف الله بك إلى الهرب إلى الزيبار، أما حسن بك فقد غابت أخباره، فلا تعرف وجهة هربه. وعلى الرغم من النصر الذي حققه إسماعيل باشا على خصومه الأقربين، إلاّ أنه كان يدرك ضرورة إرضائهم، لإنهاء هذا الصراع، الذي بات يهدد الاستقرار في الإمارة من جهة، ويفقده ولاءات قوى مهمة، لاسيما الزيبار في الشرق، واليزيدية في الغرب، ولذا فإنه حاول إرضاءهم بمنحهم قلعة العقر المهمة سنة 1202هـ/1787م[111]، إلاّ أنهم ما لبثوا أن أعلنوا تمردهم مرة أخرى، فاضطر إلى التوجه إليهم على رأس قواته، وحاصر القلعة، حتى أنهم لم يجدوا بُدّاً من مغادرتها، والهرب إلى الموصل. ونجحت وساطة الوجهاء في أن يُصدر عفوه عنهم، وأن يَسمح لهم بالعودة إلى العقر، بشرط التزامهم بالطاعة وإنهاء تمردهم[112]. ولكن لم تكد تمر سنة واحدة حتى أعلنوا تمردهم عليه مرة ثالثة، فوجه إليهم ابن أخيه قباد بك- بعد أن صالحه- ترضية له لأنه كان يطمح إلى حكم العقر[113]، ولضرب الطامعين بعضهم ببعض، وبالفعل، حاصر قباد العقر، واشتبك مع قوات أعمامه، ثم

---

110 ياسين العمري: الدر المكنون في المآثر الخالية من القرون، الورقة 633

111 ياسين العمري: غرائب الأثر ص19-22

112 المصدر نفسه ص22.

113 المصدر نفسه ص23

تمكن – بالخديعة– من إلقاء القبض عليهم، وإرسالهم إلى عمه في العمادية[114]. فلم يكن من الأخير إلاّ أن أطلق سراحهم ومنحهم قلعة كنديز، بيد أن الصراعات الأسرية لم تنتهِ بذلك، إذ سرعان ما أعلن قباد عصيانه في العقر، واضطر اسماعيل أن يخرج على راس قواته إليه (أيلول 1789)، فنزل في باعذرا، وعزله، واستعاد عقره، وعين ابنه مراد خان بك أميراً عليها، ولما لم يرض هذا التصرف قباد، فإنه لجأ إلى عبد الرحمن باشا الباباني، حاكم السليمانية، ليعيده إلى منصبه، والراجح أنه لم يفعل ذلك إلاّ بعد تنسيق كامل مع والي بغداد، الذي أثبتت الحوادث المقبلة صداقته له. وبدعم منه تمكن من استرداد العقر سنة 1205هـ/1790م. أرسل إسماعيل باشا ابنه علي بك على رأس قوة عسكرية فحاصر المدينة، واضطر قباد إلى مغادرتها، وعين إسماعيل ابنه مراد بك أميراً عليها من جديد، ولم يبق له إلاّ التخلص من جولو بك ذلك الزعيم اليزيدي الذي سبق أن أيد خصومه. وقد دبر قتله غدراً مع أخيه وعدد من أتباعه، ونصب منافسه خنجر بك، زعيماً لليزيدية[115]. وكان إسماعيل باشا ميالاً إلى إرضاء أخوته، على الرغم مما أبدوه نحوه من الثورة والتمرد، ففي سنة 1213هـ/1798م استقدم صيفور بك وحاج لطف الله وحاجي خان إليه حيث أعطاهم سبع قرى على سبيل الترضية[116]، كما صالح ابن أخيه قباد بك وولاه زاخو. وكان قد أرسل خالاً له على رأس حملة رد بها هجوماً لبعض عشائر الجزيرة على زاخو سنة 1209هـ/1794م، فكان أن قتل خاله، بينما هربت تلك العشائر إلى نواحي الجزيرة. توفي إسماعيل باشا في 18 صفر سنة 1213هـ/1798م في مقره الصيفي في (سَر عمادية)، بعد أن أوصى بالإمارة إلى ابنه الصغير محمد الطيار[117].

---

[114] الدر المكنون الورقة637و655

[115] غاية المرام ص100

[116] ياسين العمري:غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، الموصل 1940ص36

[117] ينظر عنه أيضاً: منهل الأولياء ج1 ص68 وفيه (إسماعيل بيك بن إبراهيم بيك) وغرائب الأثر ص47–51 وغاية المرام ص105 والدر المكنون الورقة 628 و633 و637 و640 و648 و654وزبدة الآثار الجلية ص 129، 132، 151–155، 161–164 و176وبعض الوقائع الهامة ص147 ويوحنا هرمزد: سيرة ذاتية بقلمه، عربها بطرس حداد، مجلة بين النهرين، العددان 34–35(السنة 9، 1981) ص250 والمائي: الأكراد في بهدينان ص159 ومحفوظ: إمارة بهدينان العباسية ص87–89 وشاولي:إمارة بادينان ص64–71. وكتابنا: الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، النجف 1975 ص164، 167، 170–175 وتاريخ مشاهير كرد، أمرا وخاندانها ص136 ودائرة المعارف الإسلامية ج7 ص249، مادة بهدينان.

محمد الطيار باشا، الأمير

ابن أمير بهدينان إسماعيل باشا، اختاره أبوه ليكون أميراً على بهدينان من بعده، على الرغم من أنه كان يومذاك "غلاماً"، وكان في أخوته من هو أكبر منه، وأنه ملّكه "جميع ما ملكت يداه من بسط وفرش وصفر وسلاح وتفنك ولؤلؤ ودراهم ودنانير وخيل بزينتها وما شاكل ذلك من حطام الدنيا،" وحينما توفي أبوه سنة 1213هـ/1813م استطاع سليمان آغا، وهو كتخدا أبيه، أن يتدخل في مسألة عزله عن الحكم، بينما يذكر ياسين العمري أن تدخل الكتخدا كان بطلب من محمد الطيار نفسه، وأن الكتخدا استعان بالمزورية لإنفاذ أمره[118]. وعلى أية حال دعا الأخير أولاد إسماعيل باشا في العمادية، وطلب منهم اختيار أحسنهم ليتولى الحكم، على أساس أن الوريث الشرعي محمد الطيار كان صغيراً على تولي السلطة، وحينما جرى اختيار الولد الأكبر مراد خان للإمارة، أُقنع بتولى العقر، لكنه لم يأمن جانب أخوته، فاضطر إلى مغادرة العمادية حاملاً معه "جميع ما ملكه أبوه" إلى قلعة قمري، ولم يكن راضياً، فهناك اتفق مع قباد بك بن حسين بن بهرام باشا مع جمع العشائر على الثورة على مراد باشا، وأبلغ الأخير بذلك، فجمع هذا مؤيديه من العشائر أيضاً، منهم الدنادية في الشيخان وأهل سنجار، بقيادة أمير الدنادية نمر بن سيمو، وجرت معارك بين الطرفين، سقط فيها نحو أربعمائة نفس أكثرهم من المزورية والشيخان، ونهبت قرى كثيرة، ثم صالحهم والي الموصل الوزير محمد باشا الجليلي (1214-1221هـ) على أن تكون مدينة زاخو للأمير قباد بك، ومدينة العمادية وما يليها لمراد خان باشا، وهي مقاسمة لم تبق شيئاً لمحمد طيار، فلم يظفر بملك أبيه، وربما لبث مكتفياً بقلعة قمري[119]. ويذكر ياسين العمري أن بعضهم أخبره بأن "فيه شهامة وكرم نفس وحسن خلق"[120]. وكان شاعراً أديباً له اشعار باللغتين الفارسية والكردية بلهجتيها البهدينانية والسورانية، وله قصائد رقيقة مطربة، وقد خمس بعض

---

[118] الدر المكنون الورقة 654

[119] أنور المائي: الأكراد في بهدينان ص159 والعزاوي: العمادية ص50-51 محفوظ العباسي: تاريخ إمارة بهدينان العباسية ص89 وطارق الباشا عمادي: معركة ئيتوت، مجلة دهوك العدد 29، كانون الأول 2005

[120] الدر المكنون الورقة 654 وغرائب الأثر ص47-48 وغاية المرام ص106-107 وينظر أيضا تاريخ مشاهير كرد، أمرا وخاندانها، ج2 مج3 ص134، ومحمد عبد الله ئاميدي: هوزانفان ده ردي، مجلة سيلاف، العدد 11، آذار 2007، ص30-31 وهوزانفان محه مه د ته يار باشا، مجلة سيلاف، العدد 9، كانون الثاني 2007، ص23-24

قصائد الشاعر الكردي أحمدي جزيري، ونسخ ديوانه بخطه سنة 1231هـ/1815م، وقد كتب اسمه فيه على النحو الآتي "محمد طيار بن إسماعيل باشا العباسي أصلاً العمادي وطناً"[121].

مراد باشا بن إسماعيل باشا

هو أكبر أولاد إسماعيل باشا، ومع ذلك فإنه لم يعهد له بالحكم من بعده، وإنما لولده الأصغر محمد طيار باشا، وولاه في حياته العقر، وحينما توفي إسماعيل باشا لم يستطع أن يتولى الأخير تولي السلطة، بسبب تدبير الحاج سليمان آغا الكتخدا، الذي دعا بأولاد إسماعيل باشا الكبار، وكانوا خارج أسوار العمادية، إلى اختيار أحسنهم ليتولى الحكم بعد أبيهم، بسبب صغر محمد طيار، فجرى اختيار مراد خان (باشا)، ودخل العمادية "وقرر قواعدها". وسرعان ما دب الخلاف بين الأخوة، إذ لم يعترف محمد الطيار وأخوه قباد بك بحكم أخيهما في العمادية، ودعيا جمع من القبائل لتأييدهما، وجرت معارك عديدة بين الطرفين، قتل فيها نحو أربعمائة نفس، ونهبت قرى كثيرة، بحسب رواية ياسين العمري، وكان من نتيجة تلك الفوضى أن تقطعت الطرق التجارية، مما ترك آثاره السلبية على البلاد، بل وعلى ولاية الموصل المجاورة، فغلت أسعار المواد المستوردة من بهدينان في أسواق الأخيرة، لا سيما الخشب والفحم، وتعطلت بعض الحرف، ويظهر أن هذا الأمر هو الذي دفع والي الموصل محمد باشا (1214-1221هـ)، الى التوسط بين الطرفين، فاتفق الطرفان على أن تكون "مدينة العمادية وما يليها" لمراد باشا، وأن تكون زاخو لقباد بك، ولم يكن غريباً أن يتولى أفراد من البيت الحاكم مدن الإمارة وقلاعها، على أن تكون الإمارة العامة في بهدينان لأمير العمادية، إلاّ أن الذي جرى بين الأخوين هو تقاسم حقيقي للسلطة، وهو ما يعني تجزؤ الإمارة. وقد أثر ذلك الانقسام، وفقدان الإمارة سلطتها المركزية، إلى نشوب الصراعات المسلحة بين القبائل الساندة للنظام، فدب الصراع بين قبائل المزورية والدوسكية، وسقط عدد من القتلى من الطرفين. وكان لابد من تدخل والي بغداد، بوصفه المرجع الأعلى لأمراء بهدينان، فعزل مراد بك عن الحكم، واختار قباد بك بدلاً منه، وأرسل (الخلعة) وهي رمز السلطة، إلى الأخير "وولاه العمادية" سنة 1214هـ، إلاّ أن الصراعات كانت قد بلغت مداها، فاستطاع عادل بك بن إسماعيل باشا أن ينتهز فرصة عزل أخيه، أو انشغاله في الصراعات الدائرة في إمارته، فدخل العمادية ونصب نفسه أميراً عليها.ولما لم يكن تولي الأخير يقترن بالشرعية، فقد استطاع مراد باشا أن يعزله ويتولى السلطة في العمادية، ولم يكن هذا موافقاً لرغبة والي بغداد في إقرار قباد باشا

---

[121] قرداغي: زانایاني كورد ج3 ص188

عليها، ولذا فإنه أرسل حملة عسكرية، يقودها متصرف السليمانية إبراهيم باشا بن أحمد باشا البابابي، إلى العمادية بهدف أن يولي قباد عليها، ولكن الحملة فشلت في تحقيق مهمتها، بسبب مقاومة مراد من جهة، وعدم تأييد القبائل لقباد، فاضطر إبراهيم باشا البابابي إلى إقرار الأمر الواقع الذي فرضه الأمراء البهدينانيون أنفسهم، فأقر مراد باشا في العمادية، بينما أقر منافسه قباد باشا على العقر، وفي سنة 1218 تمكن والي بغداد من عزل مراد باشا وتعيين أخيه عادل بك بدلاً عنه. ولمع اسم مراد باشا مرة أخرى وأخيرة في أثناء فتنة مسلحة بين الدناديين وأهل خركي سنة 1230هـ[122].

قباد بك بن سلطان حسين بك بن بهرام باشا

لا تتوفر معلومات عن حياته الأولى، ولكنه ثار على عمه إسماعيل باشا مطالباً إياه بحكم العقر، لم يقبل الأخير بطلبه، ولكنه اضطر إلى تنصيبه أميراً عليها، إثر نجاحه في قمع تمرد أخوته فيها سنة 1203هـ/1788م، ولكن لم يلبث أن عزله عنها، وعين ابنه مراد بك بدله. وبعد وفاة إسماعيل باشا، استطاع أن يتقرب من والي بغداد علي باشا (1217-1222هـ/1802-1807م)، فعينه هذا أميراً على بهدينان سنة 1218هـ/1803م، بعد أن عزل عنها مراد باشا، لكنه لم يستطع الدخول إلى العمادية بسبب رفض عادل باشا أميرها وأخوته ذلك التعيين، واضطر هو أن يستعين مرة أخرى بوالي بغداد، فأرسل إليه حملة يقودها متصرف السليمانية إبراهيم باشا البابابي، ولم تنجح الحملة في تحقيق هدفها في إيصاله إلى كرسي الحكم في العمادية، بسبب التفاف قبيلة السليفانية حول مراد باشا وأخوته، ودفاعها عن حكمه، وإزاء الخسائر غير المتوقعة التي تكبدتها قوات والي بغداد، وفيها نحو خمسين رجلاً من البابانيين، اضطر إبراهيم باشا إلى الإقرار بالأمر الواقع، فأقر مراد باشا على حكمه، بينما أعطى العقر إلى قباد بك، وفي الدر المكنون أنه أعطاه زاخو، ولم يكن يملك من التأييد الشعبي ما يكفي لإسناد حكمه، فكان أن حاصرت عشيرة السليفاني زاخو، واضطر هو إلى الاعتصام بقصره، والظاهر أن تقسيم السلطة هذا لم يرضي طموح قباد، فإننا وجدناه يقصد بغداد، إلاّ أن ذلك لم يجده نفعاً، فإن زعماء القبائل في العمادية

---

[122] غرائب الأثر ص47- 64 وغاية المرام ص 103، 105-106 والأكراد في بهدينان ص 161 وإمارة بهدينان العباسية ص89-94 والعمادية ص51 وتاريخ مشاهير كرد، تار أمرا وخاندانها، ج2 مج3 ص134، والمخطوط المرقم (20836) في المركز الوطني للمخطوطات

اختاروا عادل باشا أميراً على بهدينان، وأقر والي بغداد هذا التغيير، حين أرسل له أمر التعيين والخلعة التشريفية المقررة، وذلك بعد وساطة قام بها والي الموصل نعمان باشا الجليلي. وأخيراً تمكن عادل باشا من إلقاء القبض على قباد بواسطة بعض القبائل، وهكذا أقتيد إلى العمادية حيث جرى سجنه، بينما استولت القبيلة الكردية على أمواله، وعلى الرغم مما أبداه والي بغداد لقباد باشا من تأييد، إلاّ أنه تخلى عنه هذه المرة، حينما اختار مرشحاً آخر لتولي الإمارة، هو أحمد باشا بن سلطان حسين بك، وأسنده بقوات كثيرة من بغداد والموصل، وقوات كردية يقودها متصرف السليمانية عبد الرحمن باشا، ومتصرف كوي محمد باشا السوراني، ولما فشلت هذه الحملة في تعيين أحمد باشا المذكور، رضخ علي باشا والي بغداد إلى الأمر الواقع مرة أخرى، فأقر- بشفاعة محمد باشا الجليلي- عادل باشا أميراً على بهدينان سنة 1220هـ/1805م. ولم نعد نسمع بذكر قباد باشا بعد ذلك التاريخ[123].

عادل باشا بن إسماعيل باشا:

هو الرابع في تسلسل أبناء إسماعيل باشا الخمسة، وأصغرهم من زوجته الأولى، استطاع أن يتولى العمادية مدة قصيرة، بعد وفاة أبيه، سنة 1214هـ/1799م، معلناً تمرده على حكم أخيه مراد باشا، وفي العام التالي، تولى حكم زاخو، بموجب قسمة أجراها إبراهيم باشا البابابي ممثلاً عن والي بغداد علي باشا، والظاهر أنه لم يكتف بشغله منصبه هذا، وإنما كان يعد العدة لتولى إمارة العمادية، ففي سنة 1219هـ/1804م تغلب على أخيه مراد باشا، مستفيداً من دعم عشيرة المزورية، وتوصل إلى السيطرة على عاصمة الإمارة، وعرض الأمر على والي بغداد فولاه إياها وخلع عليه[124] أما عماه الثائران لطف الله وحاجي خان بك وابن عمه قباد بن سلطان حسين فقد استطاع أن يلقيهم في غيابَة السجن، وفي الواقع فإن والي بغداد كان يلعب لعبة إثارة المشاكل أو تعقيدها في الإمارة، لأنه في الوقت نفسه كان قد ولي أحمد باشا بن سلطان حسين بن بهرام باشا المنصب نفسه، وبهذا فإنه زاد الأمر من تفاقم الوضع[125]. بدأ عادل باشا حكمه بمواجهة ما عَدَّه تمرداً من أحمد باشا، واستعان هذه المرة بالمال، فإنه أغدق منه على والي بغداد، بواسطة مساع

---

[123] ينظر الدر المكنون الورقة 655 و667 وغاية المرام ص204-208 وغرائب الأثر ص98 وتاريخ مشاهير كرد، أمرا وخاندانها، ج2 مج3 ص134 وسعيد الحاج صديق: زاخو، الماضي والحاضر ص24 و25.

[124] غرائب الأثر ص64.

[125] الدر المكنون الورقة 653 وغرائب الأثر ص64.

بذلها والي الموصل محمد باشا الجليلي، لكي يستصدر أمراً بتعيينه أميراً على بهدينان، ونجحت تلك المساعي- بالفعل- في نيله ما كان يرجوه، إذا بعث إليه محمد باشا الجليلي الخلعة وأقره في الحكم. لم يهنأ عادل باشا بالحكم غير ثلاث سنوات، فقد توفي متأثراً بالطاعون سنة 1223هـ/1808م. وصفه معاصره ياسين العمري بأنه "كان فيه شهامة وبراعة"[126]. ومدحه الشاعر ده ردي بقصيدة مهمة وصفه فيها بالوالي، وبالحاكم العادل، وبالسلطان القدير، ووصف معركة خاضها في (سراندري) و(بازي) ضد الحكاريين، وقال أنه أبدى من ضروب الجرأة وفن القتال ما لا مزيد عليه.

زبير باشا بن إسماعيل باشا:

تولى الإمارة بعد وفاة أخيه عادل باشا سنة 1223هـ/1808م، وأقره سليمان باشا الصغير، والي بغداد، على توليه إياها بأمر أرسله إليه، طالباً منه أن يصالح ابن عمه قباد باشا، الملقى به في سجن العمادية، منذ نحو أربع سنين، وأن يطلق سراحه. أرضى زبير باشا والي بغداد بأن أطلق سراح عمه، وأنعم عليه بمدينة زاخو، ولكن اشترط عليه البقاء في العمادية وأن يرسل أحد أخوته إليها ليحكمها باسمه، ففعل، وعاش مكرماً فيها. شهد عهد زبير باشا تدهوراً في علاقات بهدينان بولاية الموصل، ذلك أن والي الموصل المعاصر نعمان باشا الجليلي أدرك أن هدف سليمان باشا من التقرب من أمير بهددينان قصد به إيجاد حلف يراد به تطويق الموصل لإجبار حكومتها على القبول بمرشحه أحمد باشا بن بكر أفندي لتولي ولاية الموصل، بما مَثّل تدخلاً في شؤون الأسرة الجليلية، وفي شؤون الموصل معاً. أظهر نعمان باشا تحديه لسياسة بغداد حينما ألقى القبض على أمير عشيرة الأسكرية، إحدى العشائر البهدينانية، وسجنه ثم قتله[127]، ثم توالت ردود الأفعال حينما أمر كل طرف باعتقال ما في بلاده من رعايا الطرف الآخر، ومع أن الجهود أثمرت إطلاق سراح الجميع إلاّ أن عزم والي بغداد سليمان باشا الصغير على مساندة مرشحه أدّت إلى مزيد من تدهور العلاقات بينهما، فقد أمر أحمد باشا بالتحشد بقواته والعشائر المؤيدة له، في قلعة كشّاف عند التقاء الزاب الأعلى بدجلة، بينما طلب من زبير باشا الالتحاق به هناك للدخول معه إلى الموصل، وما كان من الأخير إلاّ أن استجاب لطلبه، فأرسل إليه أخاه موسى بك على رأس قوة

[126] غرائب الأثر ص70 وغاية المرام ص104-105.

[127] غرائب الأثر ص100 ودوحة الوزراء ص246

عسكرية قدرت بنحو ثلاثة آلاف من الفرسان والمشاة "من القبائل والعشائر"[128]، وفي أثناء تقدمها قامت بمصادرة القرى الواقعة على جبل مقلوب مما كان يتبع الموصل، وجاءت الصفحة الأولى من المعركة في صالح القوات المشتركة من بهدينان وحليفها أحمد باشا، إلاّ أن مقتل أحمد باشا، أدى تغير في سير القتال لصالح القوات الموصلية، فانسحبت قوات إمارة بهدينان من ساحة المعركة، إذ لم يعد ثمة هدف تسعى لتحقيقه. وعلى أية حال، ظل زبير باشا ملتزماً بتحالفه مع والي بغداد، فما أن مضت أشهر معدودة حتى تسلم أمراً منه يقضي بتشجيع قبائل اليزيدية على نهب قرى أهل الموصل، ولم يتردد هذا في تنفيذ الأمر، إذ طلب من هذه القبائل أن ينهب تلك القرى، وعلى الرغم من تردد هذه القبائل في تنفيذ الأمر خوفاً من العواقب، إلاّ أنه كان واضحاً أن الصراع بين الطرفين قد بلغ اشده، ولم يبق إلاّ أن يحسم عسكرياً، وبالفعل، وقع صدام بين قوات زبير باشا ووالي الموصل محمود باشا قرب قرية (آلوكا) سنة 1225هـ/1810م، ونتيجة للمدد الذي وصل إلى زبير باشا من أمير البوتان، فقد انتهت المعركة باندحار قوات والي الموصل، وعقد الصلح بين الطرفين بإعادة والي بغداد عدد كبير من القرى التي سبق أن استولى عليها من الموصل[129]. وأدت هذه التداعيات إلى وفاة محمود باشا في22 شوال سنة 1225هـ/1811م، وتعيين أخيه سعد الله باشا والياً مكانه في منتصف ذي الحجة سنة 1225هـ/1811م. وقد فضل انهاء الأعمال المعادية، ومال إلى الصلح مع زبير باشا. وكان عليه، بعد ذلك، أن يواجه غزوات القبائل التيارية على الأطراف الشمالية من إمارته، بعد أن كان أبوه إسماعيل باشا قد "أعادهم إلى الطاعة"[130] فكان أن أرسل قوة عسكرية بقيادة ويس البيدوهي إلى منطقة حكاري، حيث استولت على مواطن التياريين، ووطدت أمن تخوم إمارته. توفي زبير باشا سنة 1240هـ/1824م، ولم يعقب. وفي مجموعة تواريخ وردت في مخطوطة في المركز الوطني للمخطوطات أنه عزل من قبل العشائر سنة 1232هـ/1816م ونصب مكانه محمد طيار باشا، والصحيح أنه محمد سعيد بن طيار باشا، وأنه توفي في كركوك سنة 1235هـ/1819م. وصفه بعض الكتاب المتأخرين بأنه كان رجلاً عاقلاً مدبراً عادلاً متديناً محباً للعلماء [131].

---

[128] غرائب الأثر ص100

[129] غرائب الأثر ص72-99، 112-118.

[130] عبد الرحمن مزوري: بعض الوقائع الهامة في بهدينان، مجلة كاروان، العدد 81، كانون الأول 1989ص48

[131] ينظر ياسين العمري: غرائب الأثر ص80، 100، 112-118 وغاية المرام ص105 ورسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء ص247 وخضر العباسي: تاريخ بلدة زاخو ص11 وصفحات خالدة ص35-36 والعزاوي: العمادية

محمد سعيد باشا بن محمد طيار باشا:

ولد في العمادية، ومع أن أباه كان أميراً، إلاّ أنه لم يل حكماً بسبب تولي أعمامه مراد خان باشا وقباد باشا وعادل باشا وزبير باشا الحكم بعد عزل أبيه. ويظهر أنه كان يتمتع بالدهاء والتصميم، فقد استطاع أن يقنع أخاه إسماعيل بك بأن ينحاز إليه، ضد أخويه الآخرين ميران بك وموسى بك، في خطوة للتوصل إلى الحكم، وما أن تولى الإمارة سنة 1240هـ/1825م، وربما قبلها، حتى نشبت الاضطرابات في الإمارة، إذ أعلن الملا عبد القادر المائي زعيم البيدوهين والبرواريون الثورة عليه، وأدرك أنه لا سبيل إلى معالجة الأمر إلاّ بالحكمة والدهاء، حتى تمكن من اقناع زعيم الثائرين بإعلان ولائه له. بيد أن الأمر لم يقف عند هذا الحد، إذ أن بوادر التفكك والتمرد أخذت بالانتشار في القبائل والقوى التي طالما ساندت الإمارة من قبل، فأعلن مصطفى آغا الزيباري الثورة عليه، وحاول هو القضاء على تململ عشائر المزورية ضده، فشجع أمير اليزيدية على قتل علي آغا البالطي (باله تي) أحد أبرز زعمائهم، وعم العلامة يحيى المزوري، ولكن الأمر سرعان ما أخذ أبعاداً جديدة باتت تنذر بمزيد من الأزمات. لم يقدر محمد سعيد الدور السياسي المتعاظم لعلماء الدين في إمارته، ولذلك فإنه لم يصغ إلى يحيى المزوري حينما قصده مطالباً بالثأر لمقتل عمه، بل قتل أحد أتباعه ابناً له يدعى الملا عيد الرحمن، فكان ذلك الموقف سبباً في أن يقصد المزوري أمير سوران الطموح محمد باشا ميره كوره ليس لكي يثأر له فحسب، وإنما لكي يقضي على إمارة بهدينان نفسها. وزاد الأمر سوءاً حينما استطاع أخ له، هو موسى بك، من الإلتحاق بالأمير السوراني يطلب مساندته في التوصل إلى الحكم، وهكذا بات على محمد سعيد باشا أن يواجه عدة تحديات في وقت واحد، أولها ثورة عشائر المزورية، وثانيها الإنشقاق في الأسرة الحاكمة وانضمام أخيه إلى جبهة خصمه، وثالثها طموحات أمير سوران غير الخفية في التوسع ليضم العمادية إلى ملكه، مع ما يتضمنه هذا التوسع من احتمال سقوط الإمارة كلها بيده. ولم يكن العلماء يقفون بعيداً عن الحوادث الدائرة، فقد نجح يحيى المزوري، من خلالهم، في تكوين رأي عام مناهض للإسرة الحاكمة بسبب تأييدها لليزيدية في نزاعهم من عشائرالمزورية. حاول محمد سعيد باشا التصدي لجيش محمد باشا السوراني الذي تقدم باتجاه العمادية، ولجيش آخر كان بقيادة

ص53 والمائي: الأكراد في بهدينان ص164-165 ومحفوظ:إمارة بهدينان العباسية ص98-101 وشاولي: إمارة بادينان ص96-100 وطارق الباشا عمادي: معركة ئيتوت، مجلة دهوك العدد 29، كانون الأول 2005.

المنشق رسول بك تقدم باتجاه العقر، إلاّ أنه لم ينجح في ذلك، مما اضطره إلى التحصن في العمادية منتظراً مواجهة الجيش القادم، وأخيراً وصل محمد باشا إلى المدينة حيث حاصرها مدة، واستخدم كل الوسائل العسكرية لاقتحامها، فلم يفلح، مما دفعه إلى استخدام الحيلة والاغتيال والبحث عن المنشقين، وتمكن في آخر المطاف من التخلص من قائد جيش العمادية عمر آغا كتاني باغتياله، ثم باقتحام المدينة والسيطرة عليها والقاء القبض على محمد سعيد باشا. ويذكر أنور المائي أن الأمير محمد باشا السوراني "احترمه وأكرمه وأخذه معه إلى معسكره"، بينما تذكر رواية أخرى أن محمد باشا قتله، وقتل معه ولداه حسين وقاسم بك، أما ولده الأكبر محمد باشا فكان مع زوجته بري خان وولديهما حسن وخالد في ضيافة صهره أمير بوتان، فنجا وعائلته من القتل[132].

موسى بك بن محمد طيار باشا:

هو ثاني أبناء أبيه، عاش في النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة (19م). خاض صراعاً مع أخوته من أجل السلطة، وانحاز إلى أخيه ميران بك ضد أخيه الآخر محمد سعيد باشا، الذي صار أميراً على بهدينان، ثم ضد عمه مراد باشا، ومع أنه لم يستطع الوصول إلى حكم العمادية، إلاّ أنه أخذ يتصرف بصفته حاكماً لبهدينان، إذ أخذ يتجول بأتباعه في نواحي الإمارة، مستغلاً ضعف السلطة المركزية فيها، يصادر، ويسجن، ويصدر أوامره إلى الرعية، من ذلك أنه هاجم بثلة من أتباعه دير الربان هرمزد في سفح جبل مقلوب، وطرد رهبانه، وسلب ممتلكاتهم، وصادر أموالهم، كما هاجم بلدة ألقوش القريبة منه، ومنها اتجه إلى دهوك كما سجلت ذلك الحوليات الهرمزدية في حوادث سنة 1828هـ/1244هـ[133]، ثم أنه سافر إلى بغداد، حيث استطاع أن يحصل على أمر بتنصيبه أميراً على العمادية، وبالتأكيد فإنه دفع مبلغاً ضخماً لذلك الغرض، وبالطريقة نفسها نجح عادل باشا في الحصول على أمر مماثل من الوالي نفسه، فتولى إمارة بهدينان مكانه، بيد أن محمد سعيد استطاع استعادة الإمارة، ولبث أميراً في العمادية حتى هجوم أمير سوران محمد باشا ميره كوره عليها، سنة 1833م، إذ قام بعزله وإعادة موسى بك أميراً – من

[132] المائي: لأكراد في بهدينان ص168-170 محفوظ: امارة بهدينان العباسية102 وطارق الباشا عمادي: معركة ئيتوت، مجلة دهوك العدد 29، كانون الأول 2005.

[133] الحوليات الهرمزيدية ص90

قبله- عليها، بيد أن أهالي العمادية نظروا إليه بوصفه متعاوناً، أو عميلاً، للأمير السوراني، فما لبثوا أن ثاروا عليه وعزلوه وطردوه من مدينتهم[134]، والظاهر أن موسى بك ربط مصيره بمصير الأمير السوراني، حتى أن الأخير ولاه قيادة إحدى فرقه العسكرية في تلك السنة وأوكل إليه بعض المهام العسكرية، وفي سنة 1250هـ/1834م تمكن محمد باشا السوراني من اقتحام العمادية مرة أخرى، بعد حصار مرير، وأسر محمد سعيد باشا، وعين مكانه أخاه رسول باشا[135]، فلم يعد له ذكر بعد ذلك. إن فريزر يصفه بأنه كان صعب المراس والإدارة، وعديم التقوى، وشبه مجنون، ومكروه من الرعية[136].

إسماعيل باشا الثاني بن محمد طيار

هو آخر أمراء بهدينان، عاش في عهدٍ كانت فيه الدولة العثمانية قد قررت إنهاء حكم الإمارات والإدارات المحلية فيها، وفرض السلطة المباشرة على بلادها، لذا فقد شهد تساقط حكم المماليك في بغداد والبصرة وشهرزور، وحكم الجليليين في الموصل، وحكومات الإمارات الكردية تباعاً. كما واجه توسع إمارة سوران في عهد أميرها القوي محمد باشا ميره كوره. ولا يعلم تاريخ ولادته، والراجح أنه نشأ في العمادية، ولاّه أبوه العقر، فحكمها مدة، وحينما طالب أخوه محمد سعيد باشا بإمارة بهدينان انحاز هو إليه، ضد أخوة له كانوا يطالبون بالحكم أيضاً، ولبث على مساندته له بعد توليه الحكم، وما لبث أن هاجم أمير سوران محمد باشا ميره كوره إمارة بهدينان سنة 1244هـ/1832م وتوجه نحو العقر، فقاد إسماعيل باشا مقاومة فعالة لصد هذه الحملة، وحَصّن مضايق المنطقة ومعابرها، ودارت معارك عنيفة لكن قوات أمير راوندوز تقدمت بقيادة اخيه رسول بك لحصار العقر، ودام الحصار نحو شهر كامل، وأبدى إسماعيل ضروباً من الشجاعة في الدفاع

---

[134] المصدر نفسه

[135] بعض الوقائع من تاريخ كردستان، جمعه من مخطوطات كلدانية أدي شير، دراسة وتعليق عماد عبد السلام رؤوف، مجلة الأكاديمية الكردية، العدد24 السنة 2013، ص389.

[135] محفوظ: إمارة بهدينان العباسية ص99-109 وسليمان الصائغ، تاريخ الموصل ج1 ص312-313 والمائي: الأكراد في بهدينان ص173-176 وشاوه لي: إمارة بادينان ص141 وطارق الباشا عمادي: معركة ئيتوت، مجلة دهوك العدد 29، كانون الأول 2005.

[136] رحلة فريز إلى العراق سنة 1834، ترجمة جعفر خياط، بغداد ط2 بيروت 2007 ص26

عنها، ثم اضطر إلى مغادرتها قبل أن يقع في قبضة أعدائه، وذلك في بداية 1832م والتجأ إلى قبائل الزيبار، الذين قدموا له الحماية حتى وصل إلى العمادية، عاصمة إمارته، وكانت يومذاك تحت حكم أخيه الأمير محمد سعيد، ولكن لم يلبث محمد باشا الرواندوزي أن حاصر بالقوة الضاربة لجيشه هذه المدينة أيضاً، ورغم أن الروايات القليلة عن حوادث الحصار تسكت عن دور إسماعيل باشا في أثناء تلك الحصار، إلاّ أن من المؤكد كونه تولى موقعاً قيادياً في الدفاع عن المدينة، وحينما تأكد له سقوطها، وكان ذلك في 1833استطاع أن يفلت من المهاجمين، مع ثُلة من أتباعه المخلصين، إلى خارج أسوارها، بواسطة نفق سري يعرفه[137]، ومن ثم قاد حركة مقاومة ضد قوات محمد باشا، ثم اتجه شرقاً نحو نيروه، فعمر قلعتها وتحصن بها. وتخلط رواية غير مُوثقة بين حصار ميره كوره هذا وبين حصار القوات العثمانية، فتذكر أن القوات الأخيرة هي التي حاصرت العمادية، وأن أمير رواندوز بعدما علم بأهدافها، أرسل بعض قواته لتكون تحت قيادة أخيه رسول بك وإسماعيل بك، وذلك لأنه وجد في الأمير البهدنياني المقدرة على الحفاظ على إمارة بهدينان، وأنه خير من أي شخص غريب عن الإمارة[138]، وهذه الرواية غير قابلة للتصديق في تقديرنا، إذ لا يعقل أن يحول أمير رواندوز موقفه المعادي لبهدينان بهذه السرعة دونما مبرر كاف. والظاهر أن إسماعيل باشا الذي ما زال يعد في هذا الوقت الحاكم العثماني للعمادية، أراد أن يبادئ أعداءه، فإنه غادر نِيروَه، واتجه إلى شنو، في كردستان إيران، وأخذ يستجمع الموالين له في إمارته وفي إمارة حكاري أيضاً، ووجد في الأمير الأخير، نور الدين بك، دعماً وحليفاً، والظاهر أن الأخير دعاه إلى المجيئ عنده، وتولي عملياته العسكرية من بلاده، لأننا وجدناه يتجه هذه المرة إلى جولمرك، عاصمة إمارة حكاري، ليبقى فيها نحو أربعين يوماً، راسل فيها الموالين له من زعماء إمارته[139] وأخيرا تحرك على رأس قوة من الحكارية لا تزيد على مائة وخمسين مقاتلاً، ولا يعلم سبب هذه القلة، لا سيما وأن حليفه أمير حكاري كان يشاركه المخاوف نفسها من تقدم محمد باشا ميره كور، وكلاهما يعرف أن عدداً كهذا لا يتناسب مع حجم القوات المهاجمة التي تحتل معظم أجزاء الإمارة، كما لا يعلم أيضاً سبب عدم مشاركة القوى البهدينانية، لا سيما القبائل، في هذه القوة، وكان متوقعاً أن تنضم إليه قوى الزعماء الذي راسلهم وأخذ بَيعتهم له في أثناء تقدمه داخل إمارته، إلاّ أن شيئاً من هذا لم يحدث– على ما يبدو– لأننا وجدنا تقدمه يتخذ أسلوباً يدل على

---

[137] المائي: الأكراد في بهدينان ص173 ومحفوظ: إمارة بهدينان العباسية ص109

[138] جليل من تاريخ الامارات ص202 وشاولي: إمارة بادينان ص155

[139] Badger,The Nestorians,p.26.

الخوف أو الحذر الشديد في أقل تقدير. وشاءت الظروف أن يصل إسماعيل باشا بمقاتليه إلى العمادية وهي مفتوحة الأبواب، وقد غادرها أميرها موسى باشا المعين من قبل محمد باشا ميره كور مع معظم القوات التي شاركت في حصارها، فلم يجد صعوبة في دخولها، والسيطرة على الأوضاع العامة فيها، ويختلف سياق الأحداث هذا مع رواية أخرى تفيد بأن القوات التي حاصرت العمادية كانت عثمانية، بقيادة محمد باشا إينجه بيرقدار، وأن إسماعيل باشا كان في قلعة نيروه يومذاك، وأن حاكم العمادية كان رسول بك، أخو أمير سوران، لا موسى بك، وأنه هو الذي كان مع جنوده خارج العمادية[140]. وبحسب سياق الحوادث التي ذكرناها فأن موسى المذكور ما أن علم بنبأ استيلاء إسماعيل باشا على العمادية حتى توجه إلى حصن كيفا هارباً، فاستطاع إسماعيل أن يمد سيطرته إلى سائر أنحاء إمارته، ويستعيد حكم آبائه فيها. وتذكر رواية ساقها موكرياني أن إسماعيل باشا اتصل بمحمد باشا ميره كور يرجوه فيها أن يعينه حاكماً على دهوك فعفا عنه وعينه عليها حيث نظم له الأمور[141]، وهي رواية لا يؤيدها سياق الحوادث، ولا يبعد أن موكرياني أراد بها تضخيم دور أمير رواندوز. على أن ذلك لم يخفف من حراجة موقف إسماعيل باشا، لأن القوات العثمانية المؤلفة من القوات المشتركة لوالي الموصل محمد باشا إينجه بيرقدار ووالي بغداد علي رضا باشا اللاز، هي التي حاصرت العمادية هذه المرة، بنية تصفية الإمارة، والإمارات الكردية الأخرى، بصفة نهائية، وذلك تنفيذاً للخطة العامة التي وضعها القائد العثماني رشيد باشا والي سيواس. وإزاء ذلك الحصار اضطر إسماعيل باشا إلى مغادرة المدينة عن طريق ذلك النفق السري، متوجهاً إلى الإمارة البوتانية في جزيرة ابن عمر للإلتجاء إلى أميرها بدرخان بك. أما الجيش العثماني فدخل إلى العمادية ليبقى فيها أياماً، وينصب فيها أحد اشرافها يونس آغا الكيلي قائمقاماً. ولما كان الأخير مخلصاً لإسماعيل، فإنه دعاه إلى العودة إلى عاصمته، وفي الحوليات الهرمزدية[142] أن إسماعيل كان يومذاك في بغداد، ومنها قصد عاصمته، فدخلها هذا مرة أخرى سنة 1258هـ/1842م، حيث استقبله أهلها بحفاوة. هذا بينما ذكر الصائغ أنه "أقبل من جهة كردستان"[143]. وعلى أي الحالين فإنه كان موجوداً في العمادية في تلك السنة، لأننا وجدناه

---

[140] حسين حزني موكراني: موجز أمراء سوران، ترجمة محمد الملا عبد الكريم، بغداد 1963 ص63 وإمارة بادينان ص155

[141] موجز أمراء سوران 64

[142] ج1 ص148

[143] تاريخ الموصل ج1 ص310

يستولي على ألقوش في 1 نيسان سنة 1842م، بينما كان محمد باشا الرواندوزي في 15 آذار من العام نفسه، على ما ورد في تعليقة على مخطوط في عقره[144]. وفي رواية أخرى ذكرها العزاوي نقلاً عن مجموعة خطية لعبد الرحمن السهروردي، (وهو الذي أضاف إسماعيل باشا في بغداد كما سيأتي)، أن إينجه بيرقدار أرسله مكبلاً إلى الموصل، ومن هناك أبعد إلى بغداد[145]، وتشير رواية لموكرياني إلى أنه قصد بغداد[146] ولأنها رواية تفتقد التاريخ، فلا نعلم مدى صحتها، ولكنها تتفق مع ما تذكره الحوليات المذكورة. على أن شاعراً بغدادياً مدح والي بغداد علي رضا باشا بما يفهم منه أنه فتح العمادية وخذل (واليها)، ويرى باحث[147] أن هذا الفتح قد جرى سنة 1837هـ (وتوافق 1252-1253م) ويذكر هوليداي أن حاكم العمادية في عهده سنة 1839هـ/1254هـ كان سليم باشا، وهو باشا كردي، كان خاضعاً لوالي بغداد[148]. بينما يذكر العزاوي أن والي بغداد أعاد إسماعيل باشا إلى حكم العمادية، فحكم فيها حتى أسقط حكمه محمد باشا إينجه بيرقدار سنة 1258هـ/1842م كما سيأتي، وهي رواية ممكنة لولا أنها تستدعي تفسير محاولة إسماعيل التالية لاسترضاء السلطات العثمانية لإعادته إلى حكم إمارته، لأنه لو كان قد أعيد أميراً، فلا تبق قيمة لتلك المحاولة. وعلى أية حال، حاول إسماعيل باشا أن يتبع الأساليب الدبلوماسية في استعادة ما فقده، فأرسل إلى البيرقدار يلتمس منه أن يبقيه أميراً على العمادية. إلاّ أن طلبه قوبل بالتجاهل التام، بينما تحركت القوات العثمانية لفرض حصار على مدينته. لم يبق أمامه إلاّ الخيار الأخير، وهو القتال. وثمة رواية ينفرد بذكرها مكرياني تفيد بأن إسماعيل دبر مؤامرة لاغتيال محمد باشا البيرقدار في معسكره، ولكنه لا يذكر تاريخ ذلك، وأنه استعاد حكم عقره وزاخو، ولكنه يعود فيذكر أن حكم العمادية ظل في يد رسول بك، أخي أمير رواندوز، وهذه الرواية الأخيرة تشذ عن سياق الحوادث، لأننا المصادر كلها تشير إلى حدوث مواجهة عسكرية حاسمة بين الطرفين دارت قرب قرية أيتوت (عين توثا)، خسر فيها الأمير البهديناني المعركة، فانسحب بقواته إلى العمادية، معقله الأخير، ليدافع عنها إزاء حصار قاس دام أربعة أشهر، ويذكر

---

[144] فهارس المخطوطات السريانية في العراق، بغداد ج2ص30

[145] تاريخ العراق بين احتلالين ج7 ص35

[146] موجز أمراء سوران ص56

[147] إمارة بادينان ص160

[148] Salibi, Reports from Northern Iraq,I,205,237, Letters from Mr.J.merrick.

مكرياني رواية هنا تفيد بأن إسماعيل باشا هو الذي انتصر، فانهزم البيرقدار إلى الموصل، ثم تكررت هزائمه بعد ذلك، وأن محمد باشا ميره كور أرسل ثلاثة آلاف من جنوده لمساعدة إسماعيل باشا، ولكن البيرقدار وصل العمادية قبل وصول إسماعيل باشا فلم تفعل القوة شيئاً، ولم تذكر الرواية أين كان الأخير، وواضح أنها جاءت لتؤكد الدور الذي قام به الأمير الرواندوزي، وهو ما ألف المكرياني كتابه من أجله [149]. بل ثمة إشارة إلى معركة جرت بين الطرفين في قرية (شيخكان) انتهت بخسارته وانسحابه إلى العمادية[150]. والظاهر أن ظروف المدينة لم تكن تسمح بمزيد من المطاولة، إذ عمها الفقر والمجاعة، وكان تتعرض إلى قصف مدفعية قوات إينجه بيرقدار يومياً، استعمل المدافعون عن القلعة كل ما أمكن من الأسلحة، مثل البنادق والقوس والنشاب، واضطروا إلى استخدام المنجنيقات وقاذفات الأحجار من أعلى السور، بل أنهم استخدموا سلاحاً قديماً وهو النار الإغريقية المكونة من مزيج من الزيت والكبريت مثبتا بنوع من الصمغ، والذي يقذف بواسطة أنابيب من النحاس، ليؤدي إلى اندلاع كتلة هائلة من اللهب. وعلى الرغم مما أبداه إسماعيل باشا من ضروب المقاومة، إلاّ أنه اضطر في النهاية إلى قبول شروط البيرقدار، ومن أبرزها التسليم مع ضمان سلامته، والتوسط في توليه إحدى الولايات. وهكذا جرى استسلامه، وأسرته، إلى القوات العثمانية، وتحدد الحوليات الهرمزدية فتح العمادية في 27 آب سنة 1842م، وتذكر أن إسماعيل باشا هرب منها إلى تياري حيث طاردته قوات البيرقدار، فإن صحت هذه الرواية فيكون إلقاء القبض عليه قد جرى خارج العمادية، وعلى أية حال، فإن البيرقدار أرسله مع أمواله وأمتعته إلى بغداد في ذلك العام نفسه، فانتهى حكم إمارة بهدينان تماماً. وصل إسماعيل باشا وأسرته إلى بغداد في نهاية عهد واليها علي رضا باشا اللاز (1247-1258هـ/1831-1842م)، الذي كان يبدي نحوه احتراماً خاصاً، فلا صحة إذن في تصور أنه زج في السجن[151] والمعلومات المتوفرة عن حياته في بغداد تدل على أنه كان يتحرك في مجتمعها حراً يحظى بتقدير شديد، ففور وصوله إلى بغداد استقبله العلامة الشيخ عبد الرحمن السهروردي العباسي، بوصفه يشترك معه بنسب واحد، وكان هذا أحد وجهاء بغداد وعلمائها، فأنزله مكرماً في بيته حيث لبث فيه مدة غير محددة، لم يقطعها إلاّ حينما عينه والي بغداد نامق باشا (1268-1269هـ/1851-1852م) مدة شغل فيها منصب والي شهرزور، عاد بعدها إلى بغداد، حيث

---

[149] موجز أمراء سوران ص63، 64

[150] الحوليات الهرمزدية ج1 ص197

[151] الفردوس المجهول، الورقة 28

تبرع بمبلغ جسيم لتعمير المدرسة الملحقة بجامع الشيخ عمر السهروردي الكائن في أطراف بغداد الشرقية، وإضافة إيوان ضخم زين مدخل الجامع نفسه، وطارمة، وسقاية، وبئر، وترميم قناة مرفوعة من الآجر كانت تنقل الماء من شاطئ دجلة، وحوض لمياه الشرب كان يأخذ من هذه الساقية سنة 1274هـ/1857م. كما أنشأ له قصراً فخماً قرب جامع السهروردي، وأقام فيه ديواناً كان يستقبل فيه سُراة بغداد من أهل العلم والأدب، وظل القصر عامراً حتى وفاته، ثم حَوّلته الحكومة إلى مركز للجَندِرمة، ولبث كذلك حتى انهياره بسبب فيضان دجلة سنة 1333هـ/1914م[152].
وحظيت هذه الأعمال، وأكثرها ذا صفة خِدمية خيرية بتقدير أهل بغداد، فأنشد الشاعر عبد الباقي العمري قصائد بمناسبة افتتاح هذه المشاريع. وقد قيل أن علي رضا باشا عينه متصرفاً للواء كربلاء، فمكث فيه مدة[153]، لكننا لا نجد اسمه ضمن متصرفي هذا اللواء في عهد الوالي المذكور، وإنما أصبح متصرفاً فيه في السنتين 1286-1287هـ/1869-1870م، أي في عهد والي بغداد مدحت باشا، وأنه عين قائمقاماً للبصرة بعد ذلك مباشرة، ولا نعلم ما تولى من المناصب بعد ذلك، لكنه توفي، دون عقب، سنة 1289هـ/1872م، ودفن باحتفال مهيب في مقبرة جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، ورثاه الشعراء[154].

فكانت هذه نهاية آخر أمراء بهدينان.

---

[152] محمد سعيد الراوي: خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد بتحقيقنا ، بغداد 2006 ص309-311 وخضر العباسي: صفحات خالدة ص19

[153] المصدر نفسه

[154] خير الزاد ص 311 ومحمود شكري الآلوسي: مساجد بغداد وآثارها، بغداد 1341، ص 53 وينظر فضلا عن المصادر المذكورة في هامش المادة، ينظر رحلة فريزر إلى بغداد 1834، ترجمة جعفر خياط، ط2 بيروت 2007ص22 وأنور المائي: الفردوس المجهول، الورقة 28 وفيه أنه توفي سنة 1292هـ/1871م، وجليل: من تاريخ الإمارات ص102 114 و عباس العزاوي:عشائر العراق الكردية ص191 وتاريخ الدول والإمارات الكردية ص398 و تاريخ مشاهير كرد، أمرا وخاندانها ص137 والعزاوي:العمادية ص53 وسعدي عثمان: كردستان والإمبراطورية العثمانية ص205-207 وكاميران الدوسكي: كردستان في العهد العثماني ص 112-113عبد الفتاح بوتاني: الملا يحيى المزوري وسقوط إمارة بادينان، مجلة دهوك، عدد4، آب 1998) وطارق الباشا عمادي: معركة ئيتوت، مجلة دهوك العدد 29، كانون الأول 2005ومشاهير الكرد ج1 ص110 و.Badger;The Nestorians,p.265



جامع عمر السهروردي في بغداد عمره آخر أمراء بهدينان

المحتويات